بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب: هندسة العدل؛ حكاية لحوار مع العلامة المنصور الهاشميّ الخراسانيّ حفظه الله تعالى
الناشر: مكتب العلامة المنصور الهاشميّ الخراسانيّ حفظه الله تعالى
ISBN: 978-9936-1-0120-3
الطبعة: الثالثة
تاريخ النشر: ربيع الأول ١٤٤٥ هـ/ سبتمبر ٢٠٢٣ م
مكان النشر: طالقان؛ أفغانستان

تحذير!

هذا الكتاب وقف على المسلمين، ولا يجوز بيعه شرعًا، ولكن يجوز طبعه ونشره مجّانًا أو بدون ربح، بشرط الإحتفاظ الكامل بمحتواه والحقوق المعنويّة للمؤلّف.

تنبيه:

الجوّ الأكاديميّ الذي يصوّره هذا الكتاب، له طابع رمزيّ.

هندسة العدل

حكاية لحوار مع العلامة المنصور الهاشميّ الخراسانيّ حفظه الله تعالى

كلمة الناشر

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾[١]

الكتاب الكريم «هندسة العدل»، هو حكاية جميلة وممتعة لحوار علميّ وثوريّ مع العالم المصلح السيّد المنصور الهاشميّ الخراسانيّ حفظه الله تعالى صاحب الكتاب الكريم «العودة إلى الإسلام»، أجراه أحد أصحابه في جلستين، ودوّنه جماعة من تلاميذه في مكتبه بأسلوب بديع وأدبيّ، وعرضوه عليه.

موضوع هذا الحوار العلميّ والثوريّ هو تصميم «العدل» على أنّه مقصود الإسلام، مع باثولوجيّة غير مسبوقة في مجال مشاكل العالم، وتحليل دقيق وعميق جدًّا لـ«الحكومة الإسلاميّة» والدور المتبادل بين «المهديّ» و«الناس». هذا العمل الفريد الذي ينبغي اعتباره بحقٍّ مدرسة وأيديولوجيّة فطريّة وإسلاميّة، على الرغم من صغر حجمه، هو من القيمة العلميّة والثوريّة بحيث يستطيع أن يحدث إصلاحات جوهريّة في قراءة المسلمين الرسميّة للإسلام، ويغيّر العديد من معادلاتهم الثقافيّة والسياسيّة، ويوجّه حركاتهم الفرديّة والإجتماعيّة نحو خليفة الله في الأرض؛

١. النّحل/ ٩٠

لأنّ هذا الخطاب، بالإعتماد على أصول عقليّة وقوانين طبيعيّة وسنن تاريخيّة، والإنسجام التامّ مع آيات القرآن والأحاديث المتواترة، والإستخدام للتعابير والكلمات المألوفة، والإبتعاد عن أيّ تكلّف وثرثرة، يبيّن للناس الطريق إلى السعادة والكمال، ويعلّمهم ماهيّة العدل -ضالّة الأعصار كلّها- وطريقة الحصول عليه، ويفتح لهم نافذة جديدة على مستقبل مشرق.

من نواحٍ عديدة، يمكن اعتبار هذا الكتاب مكمّلًا لكتاب «العودة إلى الإسلام»، أو خطّة شاملة لتفعيله؛ لأنّه بوزن وإتقان فوق عاديّين، يشرح استراتيجيّة الثورة العالميّة، ويرسم خارطة الطريق لتمهيد حكومة المهديّ، ويوضح عمليّة الإنتقال من عصر الظلم المظلم إلى عصر العدل اللامع خطوة بخطوة، وفي نفس الوقت، يدلّ على العظمة العلميّة للعالم الكامل الذي هذا الكنز الحِكميّ هو نتيجة مجلسين من مجالسه!

بناء على هذا، ينبغي لكلّ من يفهم قيمة هذا الخطاب الإسلاميّ المبارك أن يساعدنا على ترجمته وطبعه ونشره بين المسلمين في العالم؛ لأنّ ذلك، مع وجود المعارضات والمضايقات المختلفة، عمل صعب ومرهق للغاية، وليس في وسع هذا المكتب المستقلّ الشعبيّ أساسًا مع طاقته القليلة وبضاعته المزجاة. لعلّ ذلك يهيّئ الظروف من الناحية النظريّة لحاكميّة خليفة الله في الأرض، ويُعدّ المسلمين لدخول مجال العمل بهدف تنفيذ هذا البرنامج الإسلاميّ.

للإتّصال بنا والوصول إلى شروح الكتاب وترجماته والأسئلة والأجوبة والإنتقادات والمراجعات المتعلّقة به، قم بزيارة الموقع: **www.alkhorasani.com**.

والله المستعان

مكتب العلامة المنصور الهاشميّ الخراسانيّ

عيد الأضحى ١٤٤٢ للهجرة

فهرس الموضوعات

الفصل الأوّل ١١

الفصل الثاني ٢٣

الفصل الثالث ٣٧

المصادر ٦٥

الفصل الأول

...كان الطالب جالسًا في انتظار الأستاذ، وهو يحدق الأرض. أحيانًا كان يتنهّد ويهمهم. كأنّ أمرًا مهمًّا قد أمسك جيب فكره بيديه الثقيلتين ولا يسمح له بالتنفّس! لم تكن هذه أوّل مرّة يأتي فيها إلى الأستاذ. في كلّ مرّة عندما طرح سؤاله، نظر إليه الأستاذ فقطّ وأجابه بصمت ذي معنى، لكنّه كان يعيد سؤاله مرّة أخرى، ويجيء مرّة أخرى ليسأل. اشتياقه إلى معرفة الحقّ ما كان ليتركه مرتاحًا. كان قد بلغ من العلم مبلغًا لم يستطع معه أن يكون مرتاحًا، أن يكون رخيّ البال. إذا علم الإنسان أكثر من قدر معيّن، أصبحت الحياة مريرة له. الذين يفرحون بالحياة الحاليّة ويبرّرونها، لم يفهموا لذلك القدر ولم يبلغوا من العلم ذلك المبلغ: ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾[١]، ولكنّه كان قد فهم لذلك القدر وبلغ من العلم ذلك المبلغ، ولذلك لم يعد من الممكن أن يكون راضيًا، لم يعد من الممكن أن يكون قانعًا بما «يوجد» مثل الآخرين. إنّه كان يفكّر فيما «يجب أن يوجد»؛ يجب أن يوجد ولا يوجد. لكن لماذا لا يوجد؟! لماذا لم يوجد قطّ أبدًا؟! أليس من الممكن أن يوجد؟! إن لم يكن من الممكن أن يوجد فلماذا يجب أن يوجد؟! لماذا هذه الأشياء التي لا يمكن أن توجد، «لا يمكن أن لا توجد»؟! لماذا...؟!

---

١. النّجم/ ٣٠

كأنّ هذه الأسئلة الكبيرة والعنيفة كانت قائمة على رأس الطالب وتجلد روحه العاطشة والمجروحة! للتخلّص من السّياط، كان قد استمع إلى كلّ من له قول، ولكن ما كان أحد استطاع الإجابة لروحه العاطشة والمجروحة. الأجوبة كانت سطحيّة وواهية؛ كانت معيبة؛ كانت أنانيّة. كأنّها قد لُفّقت إغلاقًا لفمه فقطّ حتّى لا يعود يسأل، لكنّه كان قد سأل مرّة أخرى.

كان في هذه المرّة قد جاء إلى الأستاذ على حالة أخرى. كان التعب والإضطرار ظاهرين في وجهه، وكانت أنفاسه كأنفاس المحتضر، ولكن كان متّضحًا من بريق عينيه أنّه لمّا ييأس ولمّا يتوقّف عن الطلب. لعلّ الأستاذ كان قادرًا على إنقاذه؛ لأنّه هو الذي أخذ بيده لأوّل مرّة وألقاه في النهر الهائج لهذه الأسئلة. قبل ذلك، لم يكن لدى الطالب سؤال يدعو إلى جواب؛ مثل آلاف الأشخاص الآخرين الذين ليس لديهم سؤال. كان الأستاذ هو الذي فتح عينيه لأوّل مرّة وقال له بلهجة حاسمة: «ارفع رأسك وانظر»! فكان قد جاء ليرفع رأسه وينظر... ولكن ماذا كان يجب أن يرى؟! ماذا كان هناك في الأفق الأعلى؟!...

بينما الطالب سابح في أمواج هذه الأفكار الباردة إذ فُتح الباب ودخل الأستاذ. كانت طلاقة وجهه ولطافة نظره تبشّران الطالب. فقام احترامًا للأستاذ؛ قيامًا للتفكّر[١].

● قال الأستاذ بلهجة أبويّة: «أعتذر لجعلك منتظرًا»، لكنّه ما كان تأخّر؛ إنّما كان قد جاء في الوقت الذي طلب الطالب. فقال الطالب في هذه المرّة بلهجة أكثر رجاءًا: يا أستاذ! من فضلك حدّثني.

١ . كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ ۖ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ (سبأ/ ٤٦).

● الأستاذ: عن ماذا؟

■ الطالب: عن ذلك الحقّ الذي أريد أن أعرفه؛ لأنّني بحاجة إلى معرفته؛ الذي لا يفكّر فيه أحد ولا يتحدّث عنه. عن الأشياء التي توجد، والأشياء التي يجب أن توجد. حدّثني يا أستاذ! فإنّني مع كلّ عيوبي المعرفيّة والأخلاقيّة، متعطّش إلى المعرفة، وأدرك حاجتي إلى العلم.

● لكنّ الأستاذ لم يقل شيئًا.

■ فأردف الطالب قائلًا بلهجة يسيل منها الألم: لقد عدت سئمًا. إلى متى يجب أن أشهد هذا القدر الكبير من البؤس والخراب في مجتمعي؟

● الأستاذ: أيّ بؤس وخراب؟

■ الطالب متعجّبًا: هذا البؤس والخراب الذي أراه كلّ يوم وليلة في الزقاق والشارع والقرية والمدينة وكلّ ركن من أركان المجتمع: الجهل والفقر والظلم والفساد والخوف والحرب والجرم والجناية والإختلاف القوميّ والمذهبيّ وألف شيء آخر قد أجهد الناس المنكوبين.

● الأستاذ: اهدأ! إنّك تنظر إلى مجتمعك نظرًا سطحيًّا وعاطفيًّا. إنّما يشبه صراخك صراخ رجل يغرق أخوه في البحر وهو ينظر إليه في الساحل بفارغ الصبر ويصرخ: يا ويلتى، ابتلّ ثوب أخي!!

■ الطالب: هذا صحيح أنّه يجب عليّ أن أنظر إلى ما حولي بحكمة وعقلانيّة، لكن ماذا تريد بهذا المثال؟

● الأستاذ: أريد أنّ ما ذكرته، مع أنّه من مشاكل النّاس حقًّا، لكنّه ليس مشكلتهم الرئيسيّة؛ كما أنّ المشكلة الرئيسيّة لذلك الغريق لم تكن ابتلال ثوبه! في الواقع، هذه الأشياء التي تراها هي نتيجة المشاكل الحقيقيّة للمجتمع، وليست نفسها، وعلى هذا، فإنّك لم تنتبه من شجرة مشاكل المجتمع إلا إلى فروعها، في حين أنّه يجب أن تنظر إلى جذورها أيضًا. الإنتباه إلى السطوح عمل العاطفة، لكنّ الإهتمام بالأعماق من شؤون العقل.

■ تأمّل الطالب قليلًا ثمّ قال: إنّما جئتك من أجل هذا. من فضلك زدني حديثًا عن الأعماق.

● فنهض الأستاذ بسكينة واقترب من السّبّورة الشاحبة. فأخذ طبشورة ورسم بها دائرة كبيرة. ثمّ رسم بداخلها دائرة أصغر، وبداخلها دوائر أخرى أصغر فأصغر، حتّى انتهى إلى النقطة المركزيّة. ثمّ عاد إلى مكانه وقال للطالب الذي كان ينظر متعجّبًا إلى هذه الأشكال المبهمة: هذا رسم بيانيّ لمشاكل المجتمع. كلّ واحدة من هذه الدّوائر تمثّل مستوى من مشاكل المجتمع. كلّ دائرة، من ناحية، قد وقعت على الدّائرة الداخليّة، ومن ناحية أخرى، قد ثبّتت الدّائرة الخارجيّة، حتّى تنتهي إلى الدّائرة المركزيّة. هذه الدّائرة هي أساس الدّوائر الأخرى وجذرها؛ أعني أنّ جميع الدّوائر المتداخلة تتكوّن من هذه الدّائرة المركزيّة؛ لأنّ بين الدّوائر علاقة كعلاقة العلّة والمعلول. كذلك المشاكل السطحيّة للمجتمع، بما في ذلك الفقر والفساد والظلم والخوف وكلّ ما ذكرته، قد قامت على المشاكل الأكثر داخليّة للمجتمع.

فمثلًا قد قامت مشكلة الجرائم الإجتماعيّة على مشكلة الفقر، ومشكلة الفقر على مشكلة البطالة، ومشكلة البطالة على مشكلة تخلّف المجتمع، ومشكلة تخلّف المجتمع على المشاكل الأكثر داخليّة، حتى تنتهي إلى المشكلة الرئيسيّة والأساسيّة. بشكل عامّ، يجب الإنتباه إلى أنّ مشاكل المجتمع ليست مستقلّة ومنفصلة عن بعضها البعض بأيّ وجه من الوجوه، بل هي مترابطة وتتأثّر بعضها ببعض وتؤثّر بعضها على بعض كسلسلة ذات حلقات. إنّك إذا نظرت إلى كلّ مشكلة في مجتمعك دون الإنتباه إلى المشاكل الأخرى ولم تضع العلاقات في الإعتبار، لم تستطع الحصول على معرفة صحيحة بها، وإذا لم تعرف الدّاء لم تستطع العثور على دواء مناسب له.

● الأستاذ نظر إلى السّبّورة وقال: يمكن رسم هذا المخطّط البيانيّ للأفراد الذين يعيشون في المجتمع أيضًا؛ لأنّ مستوى معرفتهم وعمق رؤيتهم ذو درجات مختلفة. أكثر النّاس، وهم العامّة، يستقرّون في الدّائرة الخارجيّة، وفي الدّوائر الأكثر داخليّة يسكن الأصناف الأكثر وعيًا من النّاس. كلّما اقتربنا من الدّائرة المركزيّة للمعرفة قلّ عدد الأشخاص المتبقّين، حتّى يبقى في الدّائرة المركزيّة أشخاص معدودون. فكلّما كانت دائرة معرفة الأشخاص أكثر داخليّة، أدركوا دائرة أكثر داخليّة من مشاكل المجتمع.

● فمكث الأستاذ هُنيهة ثمّ تابع: إذا تمّ إصلاح الدّوائر الخارجيّة للمشاكل، لم يتمّ إصلاح الدّوائر الدّاخليّة؛ كما لا يتمّ إصلاح جذور الشجرة بإصلاح فروعها، بل يمكن أن يقال: ليس من الممكن أساسًا إصلاح الدّوائر الخارجيّة للمشاكل دون إصلاح الدّوائر الدّاخليّة؛ لأنّ الدّوائر الدّاخليّة هي بمثابة العلّة للدّوائر الخارجيّة.

لذلك، ما دامت العلّة فاسدة فسيكون المعلول أيضًا فاسدًا؛ كما أنّ الشجرة التي لها جذور فاسدة، لا يمكن أن يكون لها أغصان وأوراق سليمة.

■ الطالب الذي أحسّ أنّه قد اهتدى إلى دائرة أكثر داخليّة من المعرفة، هزّ رأسه تصديقًا وقال: هذا صحيح. على سبيل المثال، إذا كان لدينا مشكلة الفقر، فلا بدّ لنا أن نفحص عن المشاكل الأعمق التي تقوم عليها هذه المشكلة. فنرى مثلًا أنّها مشكلة تخلّف البلد. ثمّ لا بدّ لنا أن نفحص عن المشاكل الأعمق التي تقوم عليها مشكلة تخلّف البلد. فنرى مثلًا أنّها مشكلة انعدام الأمن. ثمّ لا بدّ لنا أن نفحص عن المشاكل الأعمق التي تقوم عليها مشكلة انعدام الأمن. فنرى مثلًا أنّها مشكلة الإختلاف القوميّ والمذهبيّ، وهكذا[١]. لكن هناك مسألتان أريد أن تتّضحا لي: إحداهما أنّ في المجتمع مشاكل لا تحصى، وقد يكون لكلّ واحدة منها جذرها الخاصّ بها، فكيف يمكننا إصلاح هذه الجذور غير المحصورة؟ والمسألة الأخرى أنّها لا يسعنا إهمال السطوح والإكتفاء بالجذور. أليس كذلك؟

● ابتسم الأستاذ وقال: عليك أن تنظر بعناية أكثر. بالنسبة للمسألة الأولى يجب أن تعلم أنّ التعدّد في المشاكل السطحيّة ينتهي إلى الوحدة في المشكلة الرئيسيّة؛ أعني أنّ مشاكل المجتمع، ولو أنّها كثيرة في السطح، إلا أنّها كلّما تزداد عمقًا تزداد اتّحادًا، حتّى تؤدّي إلى نقطة واحدة. لا يمكن أبدًا اعتبار نقطتين مركزيّتين لدائرة واحدة. لذلك، إذا وجدنا المشاكل المتعدّدة لم تؤدّ إلى أصل واحد، فلنعلم أنّنا قد أخطأنا في معرفتها.

١. الأمثلة ناظرة إلى أفغانستان، ولكلّ بلدة مشاكلها.

أمّا بالنسبة للمسألة الثانية فيجب أن لا تتأثّر بالدّعايات والإملاءات الشائعة؛ لأنّنا إذا قطعنا الجذر الرئيسيّ للمشاكل، ففي الواقع قد قضينا على المشاكل كلّها. لذلك، فإنّنا في الوقت الذي نتعامل فيه مع الجذر الرئيسيّ، نتعامل مع السطوح أيضًا؛ كما أنّك إذا اقتلعت الشجرة من أصلها، ففي الواقع قد دمّرت أغصانها أيضًا، لكنّك إذا قطعت الأغصان وتركت الأصل، فإنّ الشجرة لا تزال حيّة، وستنبت في العام المقبل أغصانًا جديدة!

■ الطالب فكّر قليلًا ثمّ قال: أنت على حقّ، لكنّنا نرى مع الأسف أنّ كثيرًا من الذين لديهم هموم اجتماعيّة واهتمام بإصلاح البلاد، قد ظلّوا عاكفين في السطوح، ولم يهتدوا إلى العمق والأصل، وكذلك قد أضاعوا قواهم.

● الأستاذ هزّ رأسه أسفًا وقال: إنّهم ركّاب سفينة مثقّبة تغرق، لكنّهم بدلًا من الفحص عن ثقبة السفينة وإصلاحها ومنع دخول الماء من خلالها، قد أخذوا إناء ويخرجون به الماء، غير مدركين أنّهم لا يخرجون منه شيئًا إلّا ويخلفه مائة ضعفًا! ألا يمكن القول في هذه الحالة أنّهم يحاولون عبثًا؟! لذلك ترى سفينة المجتمع تغرق تدريجيًّا، وبعد فترة تضلّ في خضمّ أمواج التدهور الرهيبة.

● مكث الأستاذ هنيهة ثمّ تابع: سبب هذه الغفلة المهلكة أنّهم لم يجدوا ثقبة السفينة. يرون الماء يدخل، ولكنّهم لا يعرفون من أين! هؤلاء الذين يدّعون اليوم إصلاح المجتمع وحلّ مشاكل الناس كنخب سياسيّة أو ناشطين وطنيّين أو قادة دينيّين أو حتّى جماعات جهاديّة، هم كذلك.

كثير منهم يبذلون قصارى جهدهم ويحاولون بنصح إنقاذ سفينة المجتمع من الغرق، لكنّهم للأسف إنّما يرهقون أنفسهم ويضيعون قواهم؛ لأنّ الطريقة الوحيدة لإنقاذ السفينة هي إصلاح ثقبتها، وهم لا يفعلون ذلك، بل إنّما يخرجون الماء بأكفّهم، وعندما لا يرون بادرة النجاة، فإمّا يتبرّمون ويضجّون ويتّهمون الآخرين، أو يقنطون ويعتزلون ويغادرون الساحة.

■ الطالب: ماذا يجب أن نفعله بين هذه المشاجرات والجهود غير المجدية؟

● الأستاذ: ماذا يجب أن يفعله من هو في السفينة المثقّبة التي ستغرق قريبًا؟ من المعلوم أنّه لا بدّ أن يأخذ وعاءًا ويخرج الماء مثل بعض الآخرين، أو يفحص عن ثقبة السفينة ويصلحها؛ ولو أنّ هناك آخرين قد اتّخذوا طريقًا ثالثًا: قد جلسوا منتظرين للموت وهم خائبون وقانطون، وينظرون إلى الأمواج المجنونة بأعين شاخصة وذاهلة، وآخرين أيضًا قد ناموا ولا يعلمون حتّى أنّهم يغرقون!

■ الطالب: لا طائل من إخراج الماء بالوعاء، ولا يمكن الجلوس انتظارًا للموت، وتجاهل الواقع أيضًا سفاهة. فالعمل العقلائيّ الوحيد هو أن نجد الثقبة ونصلحها. هذا هو السبيل الوحيد. ليس هناك سبيل آخر.

● الأستاذ: هو كذلك، ولكن يجب أن تعلم أنّ هذا العمل ليس سهلًا على الإطلاق؛ لأنّه كلّما كانت المشكلة أكثر عمقًا، كانت مواجهتها أكثر صعوبة وخطورة وتكلفة. ربما لهذا السبب يفضّل بعض الناس البقاء على السطوح وعدم التعمّق أكثر من قدر معيّن!

■ الطالب: أنت على حقّ، لكنّني متأهّب لهذا العمل الصعب والخطير. على الرغم من أنّني قد أفقد شيئًا كثيرًا، لكن من الطبيعيّ أنّني إذا كنت واقفًا بين الموت والحياة، ألقي أموالي في البحر لأنقذ حياتي.

● الأستاذ: حسنًا، لكن اعلم أنّه للعثور على ثقبة السفينة وإصلاحها، لا بدّ أن تتعمّق بقدر ما فيها من الماء!

● قال الأستاذ هذا ثمّ قام من مكانه. نظر إلى ما وراء الأفق من نافذة الصفّ الفارغ، ورأى الشمس مختبئة خلف السحب الداكنة. فتح الأستاذ النافذة. فنسمت ريح طيّبة من جانب المشرق ودخلت الصفّ بنشاط وبشّرت بأنّ هذه السحب الداكنة سترحل قريبًا، وستعود الشمس الساطعة إلى ظهورها بعد فترة طويلة. الطالب رأى في عيني الأستاذ سرًّا؛ السرّ الذي أحسّ أنّه سيعرفه قريبًا. لعلّه كان سرّ ثقبة السفينة التي أصبح الآن يبحث عنها. شعر أنّه بعد سنوات من البحث، سيعثر على الحقيقة قريبًا. الشعور بالعثور كان شعورًا غريبًا للروح العاطشة التي ما كانت تعثر أبدًا. قال الأستاذ بسكينة دون أن يصرف نظره المليء بالسرّ عن الأفق: يكفي لهذا اليوم. فكّر فيما قلت لك. إن شاء الله سنتحدّث أكثر غدًا...

الفصل الثاني

في اليوم التالي، جاء الطالب إلى المدرسة في وقت أبكر من المعتاد. كان يمشي على هونه ويتكلّم مع نفسه بهمهمة: «...ما داؤنا؟! ما هي مشكلتنا الرئيسيّة؟ أين ثقبة سفينتنا؟...» كان يقول هذه بهمس ويأتي إلى الصفّ؛ الصفّ القديم الذي كان ينفتح بابه نحو الأفق ولا يزال فارغًا. الطالب جلس على كرسيّ مترّب يبدو أنّه لم يجلس عليه أحد منذ ألف عام انتظارًا للأستاذ. ثمّ نظر إلى ما وراء الأفق، فرأى الشمس تشرق ببطء لتدفئه في برودة هذا الشتاء. فصرخ الباب فرحًا من الإنفتاح ودخل الأستاذ.

■ قال الطالب بعد التحيّة وصباح الخير: بالأمس توصّلنا إلى استنتاج مفاده أنّ جميع مشاكل المجتمع لها «سبب رئيسيّ واحد» إذا لم يتمّ إصلاحه فلن يتمّ إصلاحها وسيضيع المصلحون قواهم. من فضلك، تحدّث اليوم عن هذا السبب الرئيسيّ الواحد.

● ابتسم الأستاذ وقال: قبل كلّ شيء، يجب أن نفحص عن حقيقة مشاكل الناس وماهيّتها عبر التاريخ بأقصى قدر ممكن من الدّقّة والتعمّق. إنّا لنعلم أنّ الناس قد كانت لديهم احتياجات واقعيّة عديدة عبر التاريخ.

هذه الإحتياجات التي قد تكوّنت تحت تأثير «الطبيعة» و«الوراثة» و«النفس» و«المجتمع»، هي في الحقيقة قوّات الناس التي يجب أن تخرج إلى الفعل، بحيث أنّها إذا لم يتمّ تلبية أحد احتياجات الإنسان الواقعيّة، يمكننا القول أنّ إحدى قوّاته الوجوديّة لم تخرج إلى الفعل. هذه حالة نعبّر عنها بـ«المحروميّة». الإنسان المحروم هو الإنسان الذي لم يتمّ تلبية احتياجاته الواقعيّة، وبعبارة أخرى لم تخرج قوّاته إلى الفعل. نقيض المحروميّة هو «العدل». العدل هو تلبية جميع احتياجات الإنسان بطريقة لا يتعارض تلبية أحد منها مع تلبية الآخر، وبعبارة أخرى هو أن تخرج إلى الفعل جميع القوّات التي توجد في كلّ فرد من الناس بشكل مختلف وتجعل له «حقًّا»؛ الحقّ الحصريّ الذي يمكن تسميته بـ«حقّ الضّيرورة»؛ بمعنى أنّ كلّ إنسان له «حقّ» في أن «يصير» ما «يقوى» عليه. الآن إذا نظرت إلى تاريخ البشر وجدت الناس لم يزالوا محرومين ولم ينالوا العدل أبدًا. في الحقيقة، وجود مشاكل اليوم يثبت محروميّة الإنسان عبر التاريخ؛ لأنّ وضعه اليوم ليس منفصلًا عن وضعه بالأمس، واليوم دخان قد تصاعد من نار الأمس. مع ذلك، لم تزل إزالة هذه المحروميّة مطلوبة للناس، واحتياجاتهم وقوّاتهم دافعة لهم نحو العدل؛ كما أنّ العطش والجوع يدفعانهم نحو الماء والطعام. العدل بهذا المعنى هو ضالّة الإنسان القديمة والمقصود من بعث الأنبياء[1].

---

١ . كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد/ ٢٥).

■ الطالب: ما تقوله دقيق وعميق للغاية، لكنّني أظنّ أنّ هذه العبارة القائلة بأنّ «الناس لم يزالوا محرومين في التاريخ ولم ينالوا العدل أبدًا» إنّما تكون صحيحة إذا كان المراد بها «العدل المطلق»، وإلا فمن الممكن أن يكونوا قد تمتّعوا بـ«العدل النسبيّ» في فترات من التاريخ؛ كما أنّهم اليوم وخاصّة في بعض المجتمعات متمتّعون بالعدل النسبيّ.

● الأستاذ: لاحظ أنّ العدل بهذا المعنى ليس نسبيًّا بأيّ وجه، ولا يمكن أن يكون؛ لأنّ العدل النسبيّ هو اسم آخر للظلم؛ كما يمكن تسميته بـ«الظلم النسبيّ» في اعتبار آخر! يجب أن لا تنسى أنّ احتياجات الإنسان ليست منفصلة عن بعضها البعض، بل هي مترابطة ومتشابكة كسلسلة.

[شعر]

إن تُزل حلقة واحدة من مكانها

يختلّ كلّ العالم بأسره

إذا لم يتمّ تلبية أحد احتياجات الإنسان، سيؤثّر ذلك على احتياجاته الأخرى ويخلّ بتلبيتها أيضًا. من الواضح أنّه في هذه الحالة سيكون محرومًا، لا فائزًا بالعدل. لذلك، ترى الإنسان كلّما لم يتمّ تلبية أحد احتياجاته، قد سقط من خلال خلّة ذلك ولم يغن عنه تلبية احتياجاته الأخرى. نعم، ثقبة واحدة في السفينة تكفي لغرقها؛ بمعنى أنّها ستغرق لا محالة عاجلًا أم آجلًا!

■ الطالب: قولك له عمق خاصّ. أرجو مزيد التوضيح عنه.

● الأستاذ: من الواضح أنّ كلّ فرد، إمّا يتمّ تلبية جميع احتياجاته بطريقة لا يتعارض تلبية أحد منها مع تلبية الآخر، أو لا يتمّ، وبعبارة أخرى إمّا يصبح ما يستطيع أن يكون، أو لا يصبح. فإن أصبح فقد فاز بالعدل، بحيث أنّه لم يعد من الممكن أن يطلق عليه «المحروم»، وإن لم يصبح فهو محروم، بحيث أنّه يصحّ سلب عنوان «الفائز بالعدل» عنه. لذلك، يمكن القول أنّ العدل النسبيّ ليس له وجود حقيقيّ، بل هو اعتباريّ بحت. الشيء الذي يمكن أن يكون له وجود حقيقيّ هو «العدل المطلق». أساسًا «العدل» و«النسبيّ» متضادّان، متنافيان، ينقض أحدهما الآخر؛ كما إذا قلت في عبارة وصفيّة: «الجميل القبيح»!

■ الطالب: إذن لا يمكن القول أنّ في بعض المجتمعات عدل أكثر وفي بعضها الآخر عدل أقلّ، مع أنّ الوجدان يقول ذلك!

● الأستاذ: إنّما يقول الوجدان ذلك «اعتبارًا»، لكنّ «الحقيقة» أنّه ليس في أحد من المجتمعات «العدل». العدل الحقيقيّ هو «عالميّ» أساسًا وبالضرورة؛ بمعنى أنّه لا يمكن أن يكون في جزء من العالم دون أجزائه الأخرى؛ لأنّ تجزئة العالم، من ناحية، هي اعتباريّة، والذي له حقيقة هو «النظام الواحد العالميّ»، ومن ناحية أخرى، ليس أيّ جزء ممّا يقال له أجزاء العالم منفصلًا عن أجزائه الأخرى، بل هي مترابطة ومتماسكة في نظام واحد من التأثير والتأثّر. لذلك، فإنّ العدل الحقيقيّ هو «العدل المطلق العالميّ»، وهذه حقيقة لا مجال للشّكّ فيها.

■ استغرق الطالب في التفكير، وهو يبدو متعجّبًا. كلمات الأستاذ وإن كانت بديعة ومؤثّرة للغاية، إلا أنّها كانت معقولة ومقبولة تمامًا. لذلك، قال باشتياق خاصّ: تابع من فضلك.

● الأستاذ مكث هنيهة ثمّ تابع: مجموع الإحتياجات والقوّات التي توجد في كلّ فرد بشكل مختلف عن الآخرين، تجعله صالحًا لـ«موضع» من «العالم»[١]. في الواقع، كلّ شخص في المجتمع العالميّ له مكان يناسبه ولا يناسب غيره؛ نظرًا لأنّه ليس من الممكن أن يكون شخصان متماثلين في جميع الإحتياجات والقوّات[٢]. فإذا خرجت قوّة شخص إلى الفعل خروجًا تامًّا ووُضع في موضعه، فقد بُني جزء من العدل المطلق، وإذا لم تخرج قوّته إلى الفعل خروجًا تامًّا أو لم يوضع في موضعه، يُخلَق فراغ اجتماعيّ لا يسدّه أيّ شيء آخر. لذلك قيل: «العدل وضع كلّ شيء في موضعه».

■ الطالب هزّ رأسه وقال: إذن يمكن القول أنّ الناس عبر التاريخ لم يزالوا يطلبون العدل المطلق، ولكنّهم للأسف لم يحصلوا عليه أبدًا. ربما بسبب هذه «الكماليّة» لم يصبروا على أيّ حكومة إلى الأبد، وبطريقة ما، كانوا «ذوّاقين سياسيًّا»! أليس كذلك؟

● الأستاذ: إنّه كذلك. قد كان كلّ واحد من احتياجات الناس فرع من احتياجهم إلى العدل المطلق. بعبارة أخرى، جميع الناس في جميع الأوقات والأماكن قد كانت لديهم حاجة واحدة فقط، وهي الحاجة إلى العدل المطلق. جميع الأنشطة الإجتماعية والحركات المحرّرة والثورات الشعبيّة في العالم عبر التاريخ، قد تشكّلت تحت تأثير وبدافع هذه الحاجة الواقعيّة وبغية قضائها وتلبيتها، بعلم أو بغير علم.

١. كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطّلاق/ ٣).
٢. كما قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ (نوح/ ١٤).

في الواقع، قام الناس بتشكيل حكومة لتلبية هذه الحاجة الواقعيّة، لكنّ حكومتهم لم تلبّ حاجتهم هذه أبدًا. لذلك، أطاحوا بها في النهاية وقاموا بتشكيل حكومة أخرى، لكنّها أيضًا لم تلبّ حاجتهم الواقعيّة، وقد كانت حاجة إلى العدل المطلق. لذلك، أطاحوا بها أيضًا وتحوّلوا إلى حكومة أخرى. لقد كان التاريخ مسرحًا لهذه التجارب والأخطاء التي سمّيتها «التذويق السياسيّ»! لكن يجب أن تعلم أنّهم لم يفعلوا ذلك بطرًا وتذويقًا، بل فعلوه بدافع الضيق والحاجة. الإنسان البائس، سعيًا وراء العدل المطلق، قد اتّجه نحو كلّ صوب وخضع لكلّ حكومة. مثله كمثل طفل قد ضلّ في زحمة الناس وهو يطلب أمّه، ولكنّه لعدم معرفته الصحيحة بها، يأخذ بحجزة كلّ امرأة ويدعوها أمًّا، فعندما يجد منها جفاء يدرك خطأه ويدعها ويتعلّق بحجزة أخرى. قد كانت هذه كلّها تجاربه المريرة.

■ الطالب: أيّ علاقة كانت بين الحكومة وتلبية هذه الحاجة؟ أساسًا لماذا كان الناس يراجعون الحكومات؟

● الأستاذ: هذا سؤال حسن. قلنا أنّ العدل هو تلبية جميع احتياجات الإنسان بطريقة لا يتعارض تلبية أحد منها مع تلبية الآخر، وأن تخرج إلى الفعل جميع القوّات التي توجد في كلّ فرد من الناس بشكل مختلف وتجعل له حقًّا. الآن يجب أن نقول أنّ حقّ كلّ فرد عندما يجتمع مع حقّ الآخرين يخلق «التكليف»[1]؛ بمعنى أنّ تلبية كلّ واحد من احتياجات الفرد، كما يجب أن لا تتعارض مع تلبية سائر احتياجات الفرد، يجب أن لا تتعارض مع تلبية احتياجات سائر الأفراد، والعدل لا يمكن أن يتحقّق لأحد من خلال الظلم بالآخر.

١. بناء على هذا، يمكن القول أنّ الأصالة للحقّ، والتكليف اعتباريّ.

هنا يمكن القول أنّ الحاجة إلى الحكومة تتولّد من بطن الحاجة إلى العدل؛ لأنّه إذا كان الواجب تلبية احتياجات كلّ فرد بطريقة لا تمنع تلبية احتياجات الفرد الآخر، فلا بدّ من قوّة لها «إشراف» و«سلطة» على الفردين جميعًا لتنظّم تعاملهما مع بعضهما البعض، وتلك القوّة هي الحكومة. بشكل عامّ، لا يمكن تشكيل المجتمع بدون حكومة يمكنها إقامة الترابط والإنسجام بين الأفراد؛ لأنّ كلّ واحد من الأفراد ليس له إشراف وسلطة على جميع نظرائه حتّى يمكنه تنظيم تعامله معهم. لذلك، فإنّ وجود قوّة الإشراف والسلطة (= الحكومة) هو من أهمّ احتياجات قوم يعيشون في مكان واحد. الآن إن اعتبرنا العالم أجزاء منفصلة ومستقلّة كما يُعتبر اليوم، فيمكننا أن نعتبر لكلّ جزء منه حكومة منفصلة ومستقلّة كما تُعتبر اليوم، ولكن إن اعتبرناه نظامًا واحدًا ومتماسكًا ليكون مجالًا للعدل المطلق، فلا يمكننا الإعتقاد بشيء غير «الحكومة الواحدة العالميّة». من هنا يعلم أنّ وجود الحكومات المتعدّدة في العالم هو علّة المحروميّة أو معلولها، وليس للعالم أن يكون له حاكمان.

● الأستاذ مكث هنيهة ثمّ تابع: الإشراف والسلطة اللذان يملكهما الحكومة يمكن أن يكونا على نوعين: الإشراف والسلطة الإعتباريّين اللذين ليسا إلا وضع القانون والعقود الإجتماعيّة، والإشراف والسلطة الحقيقيّين اللذين هما شيء وراء وضع القانون والعقود الإجتماعيّة، بل هما متجذّران في الوجود والماهيّة، وينبعان من إشراف الله وسلطته على العالم. بالرغم من أنّ هذين الإشرافين والسلطتين كلاهما يُنشئان مجتمعًا ويحفظانه بطريقة ما، إلا أنّ الذي يبني مجتمعًا عالميًّا ذا عدل مطلق هو الإشراف والسلطة الحقيقيّان فحسب.

■ قال الطالب الذي شعر أنّه قد اهتدى إلى دائرة أكثر داخليّة للمعرفة: إذن، فإنّ الناس ولو أنّهم لتشكيل المجتمع وحفظه يحتاجون إلى مطلق الحكومة، هم للحصول على العدل المطلق الذي هو حاجتهم الحقيقيّة يحتاجون إلى حكومة خاصّة، وهي الحكومة الواحدة العالميّة. لكن أريد أن أعلم أنّه ما الخصائص التي يجب أن تكون لهذه الحكومة الواحدة العالميّة حتّى تتحف الإنسان العدل المطلق؟

● الأستاذ: إن كان العدل وضع كلّ شيء وشخص في موضعهما، فمن المؤكّد أنّما تقدر عليه حكومة تعرف كلّ شيء وشخص في العالم، وتعلم موضعهما، وتستطيع نقلهما، وتكون محفوظة من الخطأ في جميع ذلك. من الواضح أنّه بدون حكومة بهذه الخصائص الأربعة، لن يكون هناك إمكان لتحقّق العدل المطلق، وهذه الخصائص الأربعة هي الإشراف والسلطة الحقيقيّان على العالم، وهما أوّلًا وبالذّات غير ممكنين إلا لخالقه. بناء على هذا، يمكن القول أنّ حقّ الحاكميّة لله وحده، وإنّما حكومته هي الحكومة التي تقدر على العدل المطلق العالميّ[1].

■ الطالب تأمّل قليلًا ثمّ قال: لقد جئت بالحقّ. ليس أحد إلا خالق كلّ شيء وشخص يعرف كلّ شيء وشخص في العالم، ويعلم موضعهما، ويستطيع نقلهما، ويكون محفوظًا من الخطأ في جميع ذلك، لكنّي أريد أن أعلم أنّ حكومة الله بالمعنى المقصود عندنا كيف يمكن تحقّقها؟

---

١. كما جاء في القرآن: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ (الأنعام/ ٥٧)، وجاء في السنّة: «البيعة لله».

● الأستاذ: من المؤكّد أنّ حكومة الله بالمعنى المقصود عندنا لا يمكن تحقّقها في العالم المادّيّ بشكل مباشر وبدون واسطة؛ لأنّ قيود المادّة وقوانينها لا تسمح بذلك، والطبيعة لا طاقة لها به ذاتًا. لذلك، لا بدّ من وسيلة[١] كانت من جانب متجانسة مع الناس، ومن جانب آخر موصّلة لإشراف الله وسلطته[٢]، وهي لا محالة واحد من الناس «يهديه الله»[٣] إلى ماهيّة كلّ شيء وشخص في العالم وإلى موضعهما ويمكّنه من نقلهما ويحفظه في ذلك، وبدعم من هذه الخصائص الأربعة التي يستمدّها من الله، ينال الإستعداد للحاكميّة وتبعًا لذلك حقّها. نحن نسمّي هذا الإنسان «الإنسان الكامل»[٤]. لذلك، يمكن القول أنّ الله يستوفي حقّه في الحاكميّة بواسطة الإنسان الكامل، والإنسان الكامل هو «خليفة الله»[٥]. بناء على هذا، من الواضح أنّ حاكميّة الإنسان الكامل لن يكون لها ماهيّة سوى التنفيذ الكامل لأوامر الله، وفي الواقع ستكون نفس حاكميّة الله التي يتمّ تطبيقها بهذه الطريقة.

● الأستاذ مكث هنيهة ثمّ تابع: من هنا يتّضح أنّه لا يمكن لأيّ حكومة غير حكومة الإنسان الكامل أن تكون مظهرًا لحكومة الله، وما دامت الحكومة غير مستقرّة في يد الإنسان الكامل لن يكون هناك أيّ إمكان لتحقّق العدل المطلق العالميّ،

---

١ . كما قال الله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ (المائدة/ ٣٥).
٢ . كما قال الله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ (آل عمران/ ١١٢).
٣ . فهو «مهديّ».
٤ . وقد سمّاه في كلام آخر «الإنسان المهديّ».
٥ . كما قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة/ ٣٠).

وذلك من ناحيتين: إحداهما ما قلت، والأخرى أنّ الإنسان الكامل هو نفسه واحد من أفراد المجتمع جعلته موهبته صالحًا للحكومة. لذلك، فإنّ الحكومة موضعه، والعدل المطلق -كما قلت- هو أن يوضع كلّ شخص في موضعه. إذن ما دام الإنسان الكامل غير مستقرّ في الحكومة لم يتحقّق العدل المطلق.

■ فكّر الطالب قليلًا في حالة ذهول ثمّ قال: هل هذا يعني أنّ الدائرة المركزيّة والعلّة الرئيسيّة لمشاكل المجتمع هي «عدم حاكميّة الإنسان الكامل»؟! نعم... نعم... هذه هي ثقبة سفينتنا!

● الأستاذ تنفّس الصّعداء ثمّ قام. فذهب هونًا إلى النافذة وقال ناظرًا إلى أقصى الأفق: إنسان اليوم متعب. إنسان اليوم مجروح. متعب من آلاف السنين من الظلم، ومجروح من تجارب كلّها مريرة. لقد رأى الفراعنة والنماردة، وتحمّل أمثال بني أميّة وبني عبّاس، وجرّب الملوك والأمراء، واليوم يشاهد الجمهوريّات والإسلاميّات. إنسان اليوم متعب. إنسان اليوم مجروح. تسوّلًا لجرعة من العدل، قد خضع لكلّ مدرسة، لكلّ حكومة، لكنّه كان أشدّ عطشًا من أن ترويه جرعة. إنّما يرويه البحر المحيط، لكنّه قد ترك البحر المحيط وسعى إلى الثماد. نعم، العلّة الرئيسيّة والدائرة المركزيّة لمشاكل المجتمع هي -كما علمت- فقدان حكومة الإنسان الكامل، والمحروميّات كلّها منبعثة من هذه النقطة، لكنّك ترى أنّه لا يضعها أحد في الإعتبار ولا يكترث بها؛ لأنّه ليس أحد في الدائرة المركزيّة للمعرفة. الناس كلّهم قد ظلّوا على الدوائر الخارجيّة، على السطوح!

■ نظر الطالب إلى الأستاذ بعين مندهشة، وأراد أن يقول شيئًا، لكن حصرت أنفاسه في صدره ولم يتحرّك لسانه في فمه. كانت روحه قد ألمت من هذا التذكير العظيم. ما كان يظنّ أن يكون ذلك منشأ جميع المصائب، وكان هذا ما يزيده ألمًا!

● أردف الأستاذ قائلًا: مشكلة شعبنا وشعوب العالم هي المحروميّة من حكومة الإنسان الكامل؛ المشكلة التي لا يمكن تسميتها مشكلة فقطّ، بل هي مأساة مؤلمة وفراغ لا يسدّه شيء؛ رزيّة تقصم الظهور ولا يمكن تقديرها. ليست مشكلة الأمم حكومة رجل وعدم حكومة رجل آخر منهم حتّى يقوموا بحلّها من خلال تبديل أحدهما بالآخر. مشكلة الأمم والمجتمعات الإنسانيّة هي فقدان رجل مثل عليّ بن أبي طالب. مشكلة الدنيا هي «غيبة المهديّ».

■ الطالب جهد مرّة أخرى ليقول شيئًا، لكنّه لم يقدر.

● فتابع الأستاذ: العدل المطلق عمل نظام؛ نظام متقن رياضيّ كلّ جزء منه في موضعه. إذا نزعت جزءًا رئيسيًّا من سيّارتك فهل يتمّ تشغيلها؟ هل تنطلق؟ الإنسان الكامل الذي مضى تعريفه هو جزء رئيسيّ لسيّارة العدل. ما دام هذا الجزء الرئيسيّ لم يستقرّ في موضعه لن تعمل سيّارة العدل. إنّ الذين بدلًا من وضع الإنسان الكامل في موضع الحكومة، يطلبون طريقة أخرى للوصول إلى العدل، في الواقع بدلًا من إصلاح سيّارتهم المعطّلة يحاولون دفعها إلى المقصد! لكنّ مقصدهم أبعد من أن يستطيعوا الوصول إليه بهذه الطريقة. لا جرم أنّهم سيكلّون بتعب شديد ويقصرون عن مواصلة الطريق عاجلًا أم آجلًا.

يتبع...

الفصل الثالث

■ الطالب مدركًا لعمق المصيبة، استغرق ساعة في التفكير، ثمّ قال وهو يبدو آئسًا: بالرغم من أنّ في ثقافتنا الإسلاميّة قد تمّ الإخبار بشكل متواتر عن هذا الإنسان الكامل تحت عنوان «المهديّ»، وتمّ التأكيد على أنّ العدل المطلق سيتحقّق في ضوء حكومته[١]، وفي سائر الدّيانات التوحيديّة أيضًا قد تمّت الإشارة إلى هذا الموضوع، ولذلك جميع الناس بما لديهم من الأديان والمذاهب يعتقدونه بطريقة ما، ويمكن اعتباره من المسلّمات أو المشهورات، لكن للأسف العظيم أنّ مثل هذا الإنسان لم يولد بعد، أو ولد وهو غائب، وفي كلتا الحالتين ليست حكومته ممكنة. بالطبع ندعو أن يولد في القريب العاجل إن لم يولد بعد، وأن تنقضي مدّة غيبته في القريب العاجل إن كان قد ولد! لكنّي أرى من الأحسن في أيّ حال أن نضع جانبًا هذا الأمر الذي لا يمكن الحصول عليه، ونتابع بحثنا بهذا السؤال أنّه ماذا يجب فعله الآن؟ من المسلّم به أنّ الإجابة على هذا السؤال هي التي كانت ساحة معركة المفكّرين والمنظّرين، وإلا فإنّ الناس كلّهم مذعنون في الجملة بما قلت حتّى الآن، أو يمكنهم الإذعان به.

---

١ . كما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في الحديث المتواتر المشهور بعد البشارة بالمهديّ: «يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا».

أريد أن أقول أنّ ما قلت حتّى الآن هو الأساس المشترك بين جميع أهل الإسلام، بل جميع أهل الأديان بطريقة ما، بل عسى أن يكون الأساس المشترك بين جميع عقلاء العالم. إنّما أقول هذا لأنّه قد لا ينكر عاقل من حيث أنّه عاقل أولويّة حكومة الإنسان الكامل بخصائصها الأربعة، لكنّ المنازعات السياسيّة كلّها في أنّه إذا لم يكن تحقّقها ممكنًا فماذا يجب أن يُفعل؟ عند هذه النقطة يفترق كلّ تيّار عن الآخر ويقول كلّ صنف من الناس شيئًا. على سبيل المثال، بعضهم يقدّمون الجمهوريّة، وبعضهم الآخر لا يرونها كافية بمفردها ويقيّدونها بقيد الإسلاميّة أو غيرها. على أيّ حال، ما دفع الناس كلّهم إلى هذه المنازعة بعلم أو بغير علم كان هذا الإفتراض أنّه لا يمكن التوقّف مكتوف اليدين حتّى يولد الإنسان الكامل أو يظهر، بل لا بدّ من قبول حكومة أخرى لكي لا يقع المجتمع في الفوضى ولا ينهار. في الواقع، هذا «اضطرار». الآن ما الذي يجب فعله في هذا الإضطرار حسب رأيك؟

● الأستاذ الذي كان في هذه اللحظات ينظر إلى السماء مستمعًا، نظر إلى الطالب بعين فيها دموع فقال: لقد سمعت قولك وفهمته، لكن لا أدري هل أنت أيضًا تسمع قولي وتفهمه أم لا!

■ قال الطالب وهو متعجّب من حال الأستاذ: بالطبع أسمع يا أستاذ! لقد جئت لأجل الإستماع، ولم أجئ لأجل القول. فقد قلت كثيرًا واستمعت قليلًا حتّى الآن. لقد جئت لأكون من الذين يصفهم القرآن بأنّهم ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[١].

١. الزّمر/ ١٨

● الأستاذ: حسنًا. إن كان كذلك فافتح أذنيك لتسمع، واستخدم ذكاءك لتفهم: إنّ الذي دفع الناس إلى الصراع على السلطة بعلم أو بغير علم هو -كما قلتَ- هذا الإفتراض أنّه لا يمكنهم تحقيق حكومة الإنسان الكامل، ونتيجة لذلك لا خيار لهم إلا أن ينشئوا حكومة أخرى. بالطبع ليس هناك شكّ في أنّه إذا كان افتراضهم صحيحًا، فإنّ النتيجة التي حصلوا عليها صحيحة، ولكنّ الذي أقوله هو هل افتراضهم صحيح؟! أي أليس من الممكن حقًّا أن يحقّق الناس حاكميّة الإنسان الكامل؟! أليس لهم أيّ سبيل إلى ذلك؟! إلى أيّ مدى تمّت دراسة هذه المسألة من قبلهم حتّى أصبحت افتراضًا عامًّا؟!

■ أجاب الطالب بتعجّب شديد: لا أفهم مرادك! لقد كانت هذه القضيّة مقبولة عند الجميع منذ البداية، ولم يكن هناك حاجة إلى دراستها!

● الأستاذ: كيف لم يكن هناك حاجة إلى دراستها، وقد كانت مفتاح العدل المطلق وأهمّ مسألة للبشر وأساس شرعيّة جميع الحكومات في العالم؟! أساسًا كيف أصبحت مقبولة عندهم ولمّا يتمّ دراستها؟!

■ سكت الطالب من شدّة التعجّب. كان ذهول غير مسبوق قد غمره ولا يسمح له بالكلام. استغرق الأمر منه بضع دقائق ليستطيع جمع أفكاره ومعرفة أنّه ما هو الموضوع الذي تمّ بيانه وماذا يعني بالضبط! أخيرًا، صاح في حالة من الذعر: قولك هذا يزلزل أهمّ أساس لشرعيّة جميع النظامات السياسيّة وإمكان تبريرها، وينكث كثيرًا من المنسوجات الثقافيّة والإجتماعيّة وحتّى الإقتصاديّة للبشر!

منذ ألف عام على الأقلّ، كان علماء المسلمين فريقين: فريق كانوا مصرّين على أنّ المهديّ لم يولد بعد، وليس من المعلوم لنا ولا راجعًا إلينا أنّه متى يولد، وفريق آخر كانوا معتقدين أنّه قد ولد، لكنّه غائب ولا يمكن تحقيق حكومته حتّى يشاء الله وتقتضي المصلحة. إذن عند الفريقين جميعًا لا بدّ من طلب حكومة أخرى؛ لأنّه «من الممكن أن تمضي مائة ألف سنة أخرى ولا تقتضي المصلحة أن يأتي المهديّ. في هذه الفترة الطويلة، يجب أن تبقى أحكام الإسلام معطّلة ولا تنفّذ؟... يكون فوضى؟»[1] هل أنت الآن تشكّك في مبدأ كلا الفريقين الذي قد ترسّخ خلال أكثر من ألف عام؟!

● الأستاذ: نعم، هو كذلك. إنّ الذي أزال حكومة الإنسان الكامل من قائمة النظامات السياسيّة الواقعيّة هو هذا الوهم الواهي أنّ حكومته ليست في متناول الناس، أو بعبارة أخرى ليست تحقيقها في اختيار الناس! لكن حقًّا لماذا؟! لأيّ سبب؟! بأيّ دليل علميّ اعتُبر تحقيق حكومته غير ممكن للناس، وفي أيّ مصدر دينيّ تمّ إخلاؤهم من المسؤوليّة عن ذلك؟! هل هذا إلا وهم مشؤوم وخطأ كبير من قبيل آلاف الأوهام والأخطاء الأخرى التي قد شاعت وتأصّلت في الناس؟!

● الأستاذ مكث هنيهة ثمّ تابع: إنّ الذين يصرّون على أنّ المهديّ لم يولد ولا يعتبرون لأنفسهم أيّ دور في وجوده وينتظرون أن يحدث بطريق الصدفة، لا يلتفتون إلى أنّ وجود المهديّ ليس أمرًا عرضيًّا وتابعًا لقانون الإحتمالات، بل هو تدبير إلهيّ تابع لسنن الله التي لا تتبدّل، وسوف يتحقّق في وقت مناسب، والوقت المناسب لذلك هو الوقت الذي يكون الناس فيه مستعدّين ومستأهلين لحاكميّته وتحقّق العدل المطلق العالميّ، وإلا سيكون وجود المهديّ وعدمه سواء عليهم.

١. ولاية الفقيه للخميني [بالفارسيّة]، ص٣٠

ليس هناك أدنى شكّ في أنّ ولادة المهديّ، وإن كانت منوطة بفاعليّة الله، إلا أنّها منوطة بقابليّة الناس؛ لأنّه بدون قابليّة الناس، ستكون ولادة المهديّ عبثًا ونقضًا للغرض، ولن تؤدّي إلى حاكميّته وتحقّق العدل المطلق العالميّ؛ نظرًا لأنّه من المؤكّد أنّ وجود المهديّ وحده لا يكفي لتحقّق حاكميّة المهديّ والعدل المطلق العالميّ، وطاعة الناس الكاملة له شرط لذلك أيضًا. بناء على هذا، ما دام الناس لم يستعدّوا للطاعة الكاملة له، لن يكون من الممكن أن يخلقه الله، ولو خلقه لن يكون من الممكن أن يظهره للناس؛ لأنّهم ربما سيقتلونه. كما أنّه ليس من الممكن إذا استعدّ الناس للطاعة الكاملة له أن لا يخلقه الله أو لا يظهره إن كان قد خلقه؛ لأنّ هذا أيضًا نقض للغرض، بل متعارض مع عدل الله، وما الله بظلّام للعبيد[1]. من هنا يعلم أنّ الناس هم مسؤولون عن وجود المهديّ وعدمه، ومكلّفون بتهيئة الظروف المناسبة لولادته وظهوره، وبالتالي عدمهما نتيجة لتقصيرهم في العمل بهذا التكليف.

● الأستاذ مكث هنيهة ثمّ أردف قائلًا: لكنّ الأعجب من غفلة هذا الفريق، هو خطأ الفريق الآخر الذين يعتقدون أنّ المهديّ قد ولد، لكنّ تحقيق حاكميّته غير ممكن للناس! في حين أنّه إذا كان المهديّ قد ولد مثلنا ويعيش مثلنا، فلم يكون الوصول إلى السلطة السياسيّة الممكن لنا غير ممكن له؟! أيّ فرق بينه وبيننا في هذا الصدد؟! أليس هو أقوى منّا على هذا الأمر؟! أليس هو أكبر اهتمامًا منّا بهذا الأمر؟!

---

١. ومن ثمّ أخبر بصراحة أنّه لن يغيّر لقوم شيئًا حتّى يهيّئوا الظروف لذلك بأيديهم فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرّعد/ ١١)، ولن يمنع عن قوم نعمة حتّى يهيّئوا الظروف لذلك بأيديهم فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال/ ٥٣).

اليوم، من الممكن لأيّ راعي أن يحصل على السلطة، فكيف لا يمكن ذلك للإنسان الكامل؟! أليس كلّما طالب الناس بإرادة جدّيّة وعامّة بأن يصل إنسان إلى السلطة وانتفضوا لذلك، وصل ذلك الإنسان إلى السلطة وحصل على الحاكميّة السياسيّة؟ كذلك متى يطالب الناس بإرادة جدّيّة وعامّة بأن يصل الإنسان الكامل إلى السلطة ولا يرضوا بأيّ حكومة غير حكومته وينتفضوا لذلك، يصل الإنسان الكامل إلى السلطة ويحصل على فرصة للحكومة. إن كان المانع في رأي هؤلاء غيبته، فليس هناك شكّ في أنّ غيبته هي نتيجة لعدم استعداد الناس، ولم تزل إزالتها ممكنة لهم. خلافًا لما يُتصوّر، هذا أمر طبيعيّ وعاديّ ومتاح تمامًا، بل يمكن القول أنّ تصوّر خلافه غير طبيعيّ وغير عاديّ وغير واقعيّ. نعم، تشكيل حكومته يحتاج إلى معدّات، ولكن ألا يحتاج تشكيل أيّ حكومة أخرى إلى معدّات؟! هل تشكيل الحكومات القائمة قد تمّ بدون معدّات؟! ألم تكن جميع الثورات في تاريخ البشر إعدادًا للحكومات المختلفة؟! لا شكّ في أنّ الإنسان الكامل بصفته إنسانًا حيًّا حكيمًا، ليس مستثنى من هذه القاعدة، ويمكنه كسائر الناس أن يشكّل دولة بعد توفّر الظروف المناسبة السياسيّة والإجتماعيّة. هذه الظروف المناسبة ليست ظروفًا غامضة وغير عاديّة وبعيدة عن المنال، بل هي ظروف طبيعيّة تكون ضروريّة لأيّ حكومة. نعم، لو أنّ الناس جهدوا في تحكيم الإنسان الكامل كجهدهم في تحكيم الآخرين، لكان هو الحاكم الآن! لكنّ المصيبة أنّهم سلّموا ظهورهم لكلّ أحد، ولم يناولوا الإنسان الكامل أيديهم!

ما برح الجماعات والتيّارات المختلفة في مختلف البلدان بعد مئات السنين، تعتبر كلّ منها نفسها أحقّ من غيرها تحت ذريعة ما، وتسعى أن تستحوذ على الحكومة من خلال إسقاط الآخرين![1] في حين أنّه لا أحد منها أحقّ من الآخرين، وليست الحكومة لأحد منها في الواقع. إنّما الحكومة للمهديّ، ولذلك فإنّ التنازع عليها لا طائل تحته![2]

● مكث الأستاذ في هذه الساعة ونظر إلى السماء، ثمّ تأوّه أسفًا وقال: بالطبع هذا الواقع كبير على الذين اعتادت أذهانهم الأوهام والخرافات، وغير مفهوم لهم. إنّهم لم يكونوا أبدًا على معرفة صحيحة بقضيّة غيبة المهديّ وظهوره. إنّهم قد حسبوا المهديّ خلقًا عجيبًا غير متاح يعيش بمعزل عن المجتمع في جزيرة خضراء بين بحر أبيض منتظرًا لأن «تقتضي المصلحة» فيظهر! موجودًا غريبًا بعيدًا عن المنال لا بدّ أن يأتي بغتة من مكان مجهول لا يعرف أحد أين هو على فرس أبيض كالأبطال الأسطوريّين، فينقذ البشر ويذهب! هذه الصورة للإنسان الكامل هي صورة خياليّة وصبيانيّة للغاية. الإسلام لم يعرّف الإنسان الكامل على هذه الصورة. الإسلام لم يرفعه إلى السماء كالمسيح حتّى ينزله محمولًا على أجنحة الملائكة. الإسلام جعله في الأرض لينتفض مع الناس يدًا بيد.

---

١ . كما قال الله تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (المؤمنون/ ٥٣).

٢ . كما روي عن أهل البيت عليهم السلام في باب الملاحم وعلامات ظهور المهديّ أنّهم قالوا: «يُنَادِي مُنَادٍ صَادِقٌ مِنْ شِدَّةِ الْقِتَالِ: فِيمَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ؟! صَاحِبُكُمُ الْمَهْدِيُّ» (الغيبة للنعماني، ص٢٧٥).

من هنا يعلم أنّ فهم كلا الفريقين لقضيّة المهديّ متعارض مع حكم العقل وتعاليم الإسلام. قد كان هذا الفهم بالمعنى الدقيق للكلمة «بدعة»، ولم يكن له أيّ أساس في الدّين، وقد كان فقط متوافقًا مع مصالح الحكّام المستكبرين والسياسيّين المتعطّشين للسلطة، وترى أنّهم هم الذين أبدعوا هذا الفهم المنحرف أو جعلوه يتّسع ويتعمّق! لأنّه إذا اعتقد الناس إمكان تحقيق حكومة الإنسان الكامل والعدل المطلق بأيديهم، لن يبقى هناك أيّ مشترٍ لمتجرهم، بل سيتمّ إلغاء الترخيص المزعوم لتجارتهم، ولن يكون هناك أيّ مبرّر لحكومتهم؛ نظرًا لأنّ شرعيّة أيّ حكومة تتوقّف أساسًا على عدم إمكان حكومة الإنسان الكامل، وإمكان حكومة الإنسان الكامل يقضي على شرعيّة أيّ حكومة أخرى.

■ الطالب الذي كان من شدّة الذهول قد أصبح كمسمار، كان تحت الضربة الشديدة لمطرقة كلام الأستاذ ينغرز في سرّ عميق، ويحسّ أنّه قد دخل الدائرة المركزيّة للمعرفة. كان رأسه يدور. جهد ليقوم على قدميه، ولكن لم يستطع. لا جرم أنّه سحب جسده على الكرسيّ وقال بلهجة مليئة بالألم: يا ويلتنا، فقد متنا طوال حياتنا، وسعينا في هذا الصحراء وراء السراب منذ قرون! كان الماء في أيدينا، ونحن نتلهّب عطشًا! الآن أشعر بحسرة عميقة في نفسي. يألم وجودي كلّه. هذا جُرح قديم انفقأ اليوم. آهٍ، كم كنّا بعيدين... بعيدين...! كم كنّا عميانًا... عميانًا...!

● الأستاذ الذي كانت عيناه تتبعان الأفق، تأوّه مرّة أخرى وقال بحسرة باردة: الناس ضحايا الأعصار البائسون. قد أغوتهم حكومات الشرق والغرب، وشغلتهم بأنفسها عن حكومة الإنسان الكامل؛ كما أنّ السّراب يغوي العطشان، واللّهاية تشغل الصبيّ عن ثدي أمّه.

هذا القول ليس ثرثرة شعريّة أو تعبيرًا تشاؤميًّا، بل هو إخبار عن واقع مرعب وحقيقة مؤسفة. لو علم الناس ما نزل بهم في هذه القرون، لاتّخذوا سبيل الجبال وتاهوا في القفار. آهٍ من الأجيال التي ضاعت، والمواهب التي هدرت!

■ قال الطالب بمشقّة وهو يحبس بكاءه: من هو المسؤول؟ من هو المقصّر؟

● أجاب الأستاذ: في المقام الأول، العلماء وذوو الرأي. إنّها لحقيقة مؤسفة أنّ العلماء وذوي الرأي المسلمين، خلال هذه القرون، لم يكن لديهم نظرة صائبة في قضيّة الإنسان الكامل. إنّهم لم يفهموا أبدًا أنّ غياب المهديّ أو عدم وجوده ليس أمرًا جبريًّا لا يمكن تغييره ولا يمتّ إلى الناس بصلة، بل هو نتيجة طبيعيّة لحالة الناس، وبتغيير حالتهم سوف يتغيّر بسهولة[1]. لم يقتصر الأمر على أنّهم لم يفهموا هذه الحقيقة، بل من خلال تلفيق المصالح المزعومة والحِكَم الواهية لغياب المهديّ أو عدم وجوده، قد فهموها وفهّموها معكوسة تمامًا! كم هو مؤلم ومحزن أنّ علماء الإسلام قد بالغوا في تدقيق المسائل الجزئيّة الفقهيّة التي لا أهمّيّة لكثير منها مبالغة تثير الدهشة، ولكنّهم لم ينظروا في هذه القضيّة المهمّة للغاية نظرًا عميقًا ومناسبًا! يا لها من خسارة فظيعة ومخزية أنّ مئات الكتب بعشرات المجلّدات وآلاف الرسائل المختلفة قد تمّت كتابتها في دراسة مسائل مثل الحيض والجنابة والتخلّي، ولكن في دراسة هذه المسألة الحيويّة ...!

---

١. كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرّعد/١١).

■ قال الطالب وهو يمسح دموعه ويحاول السيطرة على عواطفه: هذا وإن كان مريرًا جدًّا، لكنّه حقّ. مع ذلك، تقلقني مسألة، وهي أنّ حكومة الإنسان الكامل قد تبدو مثاليّة بشكل مفرط، أو تعتبر حتّى خياليّة في العصر الجديد!

● الأستاذ هزّ رأسه أسفًا ثمّ قال: بالطبع إن كان الإنسان الكامل وشكل حكومته مطابقًا للأوهام المبتذلة الشائعة والتفاسير الخرافيّة الموجودة، ما هو إلا أسطورة وخيال، ولكنّه إن كان كما عرّفته فليس هناك وجه لاعتباره أمرًا غير واقعيّ. الإنسان الكامل، وفقًا لتعريفي، هو إنسان طبيعيّ قد خرجت جميع قواه المتعلّقة بالنفس والوراثة والمجتمع إلى الفعل، وله انسجام كامل مع الطبيعة، ولا يتعارض أيّ بُعد من أبعاده مع أيّ بُعد من أبعاد نظام الكون، وبسبب صعوده في مراتب الوجود واتّصاله بخالق الكون قد أشرف على كلّ شيء وشخص. بالطبع لا أقصد أنّه، مثل الله، محيط بكلّ شيء وشخص بالتفصيل وبالفعل؛ لأنّ هذه الإحاطة ليست ممكنة ولا لازمة له من حيث أنّه بشر مثلنا، ولكنّي أقصد أنّه من خلال المعرفة الكاملة بالأحكام والحدود الإلهيّة، والتمتّع بالإلهامات والإمدادات الغيبيّة، يُهدى حسب مقتضى الحال إلى كلّ شيء وشخص وموضعهما في العالم، ويمكّن من نقلهما، ومن خلال الطاعة الكاملة لله في ضوء تقوى عالية واجتناب القياس الباطل، يبقى محفوظًا من الغلط في ذلك، وهذا أمر ممكن وضروريّ. وجود مثل هذا الإنسان في الواقع ليس فقط أنّه لا يتعارض مع العقل النظريّ، بل هو واجب أيضًا في ثقافتنا الإسلاميّة.

بغضّ النظر عن أنّ هذه العقيدة يمكن إثباتها في محلّه بطريقة برهانيّة وغير دينيّة أيضًا، ولا يتوقّف فهمها على الإسلام؛ لأنّ الحكومة مِلك حقيقيّ للإنسان الكامل، وليست ملكًا اعتباريًّا له. شرعيّتها له أيضًا عبارة عن «التناسب التامّ» مع الطبيعة. بناء على هذا، فإنّ شرعيّة حكومته حقيقيّة وطبيعيّة تمامًا، وليست ما حدث باعتبار من الدّين أو شيء آخر. بعبارة أخرى، حكومة الإنسان الكامل قد استفادت شرعيّتها من نظام الطبيعة والقوانين الحاكمة عليها، قبل استفادتها من الدّين أو أيّ شيء آخر[1]. نتيجة لذلك، فهي من هذه الناحية أصيلة وقابلة لأن يفهمها ويقبلها جميع الناس من المتديّنين وغير المتديّنين.نعم، إنّ الدّين قد أرشد إلى هذه الشرعيّة الأصيلة الحقيقيّة، وإلا فإنّ ذات الإنسان الكامل من حيث أنّه الإنسان الكامل، كما قلت، تقتضي الحاكميّة. أساسًا وبشكل عامّ، كلّ شيء وشخص في العالم، بما يتناسب مع نصيبه من الوجود الحقيقيّ، يصلح لمكان خاصّ، بحيث أنّه إذا خرج من المكان الخاصّ به ظهر الفساد، وإذا استقرّ في المكان الخاصّ به ظهر العدل. بناء على هذا، فإنّ انعدام العدل في العالم هو نتيجة مباشرة لعدم استقرار الإنسان الكامل في موضع الحكومة. هذه رؤية عقلائيّة وفطريّة لها أسس فكريّة وعلميّة متقنة ومعروفة. بناء على هذه الرؤية، يتبيّن أنّ حكومة الإنسان الكامل ليس فقط أنّها ليست خياليّة وحالمة، بل هي الحكومة الوحيدة الواقعيّة والحقيقيّة. إنّ الحكومات الأخرى هي التي لا حقيقة لها، وليست لها ماهيّة إلا الإعتبار؛ حكومات مختلقة بأسماء مبتدعة!

١. ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ ۖ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الفتح/ ٢٣).

على أيّ حال، لن يكون من الغريب أن تعتبر رؤيتي في العصر الحاضر رؤية خياليّة وغير واقعيّة؛ لأنّ رؤية الأنبياء أيضًا كانت تعتبر في البداية خياليّة وغير واقعيّة[١]، ولكن كن مطمئنًّا أنّ خطّة حكومة الإنسان الكامل، ستخرج قريبًا من قسم المتحجّرات في متحف الآثار المذهبيّة، ويتمّ الإعتراف بها في جميع أنحاء العالم كنظريّة حديثة وتقدّميّة. كيفما كان، فإنّي لا أظنّ أنّ أحدًا يشكّ في تفوّق هذا النظام على النظامات السياسيّة والإجتماعيّة الأخرى. الشيء الوحيد الذي أزال هذا «النظام الأحسن» من قائمة القضايا العلميّة والإجتماعيّة والسياسيّة هو الوهم بأنّه غير قابل للتحقيق، وذلك وهم شيطانيّ دحضته.

■ الطالب الذي كان يشعر أنّه قد ولد مرّة أخرى، تأمّل قليلًا ثمّ قال بلهجة متردّدة: لا أدري هل هناك حاجة إلى هذا السؤال أم لا: أنت تعلم أنّ بعض العلماء الأخباريّين والفرق المخلّطين من الشيعة، كانوا معتقدين أنّ كلّ حكومة غير حكومة المهديّ طاغوت، وعلينا أن نقعد في وقت غيبته ولا نقوم بشيء حتّى يظهر. ما رأيك في هذه العقيدة؟

● الأستاذ نظر إلى الطالب متعجّبًا ثمّ قال: إنّ نظرتهم هذه إلى قضيّة المهديّ كانت أكثر خرافيّة وصبيانيّة من نظرة الآخرين؛ ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾[٢]. من الواضح أنّ طريقنا يفترق عن طريقهم في الخطوة الأولى؛ لأنّهم كانوا يقولون علينا أن «نقعد»، وأنا أقول علينا أن «نقوم»؛ إنّهم كانوا يقولون أنّ المهديّ يجب أن «يَظهر»، وأنا أقول أنّنا يجب أن «نُظهر».

---

١ . كما قال الله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (يس/ ٣٠).
٢ . النّور/ ٤٠

بين عقيدتنا وعقيدتهم في المبادئ النظريّة والنتائج العمليّة بون شاسع كما بين السماء والأرض. رؤيتهم تدعو إلى «التوقّف»، ورؤيتنا تدعو إلى «الحركة». عقيدتهم تؤدّي إلى «الركود» و«التحجّر»، وعقيدتنا تؤدّي إلى «الجريان» و«التطوّر». إن كنت تريد بهذا السؤال مقارنة بين النظرتين، فلا بدّ أن أقول أنّها مقارنة خاطئة وفارغة للغاية.

■ الطالب خجل من طرحه سؤالًا غير مناسب، فقال معتذرًا: قد تكون بعض أسئلتي مضحكة، ولكنّي أحبّ طرحها حتّى لا يبقى هناك أيّ التباس.

● الأستاذ استحسن نيّة الطالب برأفة وقال: لا حاجة للإعتذار. سل عمّا شئت؛ فإنّ السؤال مفتاح المعرفة.

■ الطالب تأمّل مرّة أخرى وقال: فاسمح لي أن أطرح سؤالًا آخر: أنت تعلم أنّه قد ظهرت بين المسلمين تيّارات جديدة تدعو إلى تشكيل حكومة واحدة للعالم الإسلاميّ باسم «الخلافة الإسلاميّة». ما مدى قرب هذه التيّارات من قاعدتك؟

● الأستاذ نظر إلى الأرض وقال: إنّ الدعوة إلى حكومة واحدة للعالم الإسلاميّ وحدها ليست كافية ومقبولة؛ لأنّ الحكومة الواحدة للعالم الإسلاميّ، ما لم تكن متمتّعة بالخصائص الأربعة، لن تستطيع أبدًا أن تأتي بالعدل؛ كما لم تستطع من قبل لعدّة قرون، حتّى انهارت أخيرًا. لذلك، لا شكّ في أنّ خصائص الحكومة هي أهمّ من وحدتها، بل وحدتها بدون الخصائص الأربعة، وإن كانت خيرًا من ناحية، إلا أنّها قد تكون شرًّا وأكثر ضررًا من نواحٍ أخرى؛

لأنّها تعني التركّز الجائر للسلطة وتحقّق الإستبداد السياسيّ، وبعبارة أخرى تحكّم الظالم بلا منازعة ومزاحمة من الآخرين، وقد يؤدّي ذلك إلى ظلم أكثر، ومن ثمّ فإنّ الدعوة إليه عمل خطير وغير معقول. من هنا يعلم أنّ كلّ دعوة إلى حكومة واحدة دون تأكيد على انحصارها في المهديّ، هي دعوة خادعة ومنحرفة، ولا قرب لها من قاعدتي.

■ الطالب تأمّل قليلًا ثمّ قال: من هنا يعلم أنّ رؤيتك رؤية ممتازة ومستقلّة، ولكن قد يُظنّ أنّ تقديم هذه الرؤية الممتازة والمستقلّة سوف يتسبّب في اختلاف الأمّة وظهور فرقة جديدة. ما رأيك في هذا؟

● ابتسم الأستاذ تعجّبًا وأجاب: من الواضح أنّ التمهيد لحاكميّة المهديّ لن يتسبّب في اختلاف الأمّة وظهور فرقة جديدة، بل التمهيد لحاكميّة زيد وعمرو هو الذي قد أغرى بين الناس دائمًا وأنشأ فرقًا سياسيّة ومذهبيّة مختلفة. على العكس من ذلك، يجب أن يقال: إنّ التمهيد لحاكميّة المهديّ هو العامل الوحيد في اتّحاد الأمّة وائتلافهم في عصرنا؛ لأنّه ليس هناك شكّ في أنّ حكومة المهديّ هي الحكومة الوحيدة التي يقبلها ويرضاها جميع الفرق والمذاهب الإسلاميّة في عصرنا، ويتّفق جميع المسلمين مع أيّ اتّجاه على محتوميّة تحقّقها ووجوب طاعتها. لذلك، يجب الإنتباه إلى أنّ الدعوة لأيّ حكومة غير حكومة المهديّ هي دعوة إلى ما فيه خلاف بين الأمّة وليس هناك دليل على إجابة الدعوة إليه. بالطبع إن كان مرادك باختلاف الأمّة وظهور فرقة جديدة أنّ بعض الناس قد يخالفون هذه الرؤية الثوريّة ويحسبونها فرقة جديدة وهم خاطئون، فيجب أن أقول أنّ ذلك ليس أمرًا غريبًا وقد يكون لا مفرّ منه؛ لأنّ دوافع الناس ومستوى وعيهم ليست سواء، وكثير منهم للعدل كارهون[1].

١. كما قال الله تعالى: ﴿أَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (المؤمنون/ ٧٠).

لذلك، لا ينبغي المبالاة بأمثال هذه المعارضات والإفتراءات الباطلة التي تكون وقوفًا أمام العدل، وإن كان من الواجب الإجابة على أسئلة السائلين.

■ الطالب فكّر قليلًا ثمّ قال: الحقّ معك. فما يجب القيام به الآن؟

● أجاب الأستاذ بحِلم: هل تذكر قولك في الإجابة على هذا السؤال عندما ضربت لك مثل ثقبة السفينة؟ قلت: «العمل العقلانيّ الوحيد هو أن نجد الثقبة ونصلحها. هذا هو السبيل الوحيد. ليس هناك سبيل آخر».

■ الطالب: نعم، هو كذلك.

● الأستاذ: حسنًا. الآن وجدت ثقبة السفينة، وعلمت أنّ الدائرة المركزيّة لمشاكل البشر هي انعدام حكومة الإنسان الكامل. فقم بإصلاح ثقبة السفينة، ومهّد لحكومة المهديّ!

■ الطالب: كيف؟

● الأستاذ: إذا احتجت إلى الماء وشعرت بالعطش، ستقوم من مجلسك وتطلب الماء. كلّما كان عطشك أشدّ، كان طلبك أكثر. في الإجابة على سؤالك يجب أن أؤكّد: إنّ أضلّ وأضرّ الأوهام حول الإنسان الكامل هو «أنّه يجب أن يأتي»، في حين أنّه لا يجب أن يأتي، بل «الناس يجب أن يأتوا»؛ كما جاء عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «مَثَلُ الْإِمَامِ مَثَلُ الْكَعْبَةِ، إِذْ يُؤْتَى وَلَا يَأْتِي»[1]، وقال لخليفته عليّ: «أَنْتَ بِمَنْزِلَةِ الْكَعْبَةِ، تُؤْتَى وَلَا تَأْتِي، فَإِنْ أَتَاكَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ فَسَلَّمُوهَا إِلَيْكَ -يَعْنِي الْخِلَافَةَ- فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَأْتُوكَ فَلَا تَأْتِهِمْ حَتَّى يَأْتُوكَ»[2].

---

١ . كفاية الأثر للخزاز القميّ، ص١٩٩ و٢٤٨

٢ . الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي، ج٥، ص٣١٥؛ بشارة المصطفى لمحمّد بن أبي القاسم الطبري، ص٤٢٨؛ أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، ج٤، ص١٠٢، وقد جاء معناه في: المسترشد لمحمّد بن جرير الطبريّ الإمامي، ص٣٨٧ و٣٩٤؛ خصائص الأئمة للشريف الرضي، ص٧٣؛ مناقب علي لابن المغازلي، ص١٦٤؛ تاريخ دمشق لابن عساكر، ج٤٢، ص٣٥٦؛ مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب، ج٣، ص٣٨.

بشكل عامّ، هذا قانون الطبيعة أن يسعى الناقص إلى الكامل، ويسعى المحتاج إلى الغنيّ، ويسعى العطشان إلى الماء، ويسعى المريض إلى الطبيب، وليس مجرّد قانون دينيّ أو إسلاميّ. ومن ثمّ، يقول أفلاطون في كتاب الجمهوريّة بعدما يعتبر الحكومة حقًّا للإنسان الكامل: «إنّه ليس أمرًا ينطبق على الطبيعة أن يلتمس الربّان من البحّارة أن يسلّموا له دفّة السفينة، ولا أن يقف الحكماء على أعتاب الأغنياء، ومن قال كذلك فهو على خطأ مبين؛ لأنّه ضدّ الطبيعة. الأمر الطبيعيّ هو أنّ المريض فقيرًا كان أو غنيًّا هو الذي يقرع أبواب الطبيب، وكلّ من كان في حاجة إلى الإرشاد يطرق باب من يستطيع إرشاده. هكذا ليس على من يصلح للحكومة أن يستعطف الناس أن يخضعوا لحكومته»[١]. لذلك يقول إجابة لأديمانتوس حول محروميّة المجتمع من حكومة الإنسان الكامل: «ليس اللوم في ذلك عليه، ولكنّ اللوم على الذين لا يريدون أن ينتفعوا منه»[٢]. بناء على هذا، فإنّ إتيان الإنسان الكامل إلى الناس ما لم يأت الناس إليه هو مخالف لقانون الطبيعة وليس له إمكان وقوعيّ. الآن بعد أن كان الأمر كذلك، ليس لدينا خيار من أجل تشكيل حكومة الإنسان الكامل إلا أن نذهب إليه بأنفسنا ونسوق الناس إليه. ترى أنّ هذه الرؤية تجعلك تتحرّك على عكس الرؤى الأخرى. ليس فقطّ أنّها لا تغرقك في نفسك، بل تجعلك مسؤولًا عن المجتمع.

■ الطالب: كيف يمكننا أن نذهب إلى الإنسان الكامل ونصطحب المجتمع؟ لا شكّ في أنّك لا تريد أن نبحث عن منزله بطريقة عاديّة حتّى نعثر عليه! لأنّ ذلك عمل صعب للغاية إن كان هو قد ولد من قبل، وغير ممكن إن كان هو لم يولد بعد.

١. الجمهوريّة لأفلاطون، الكتاب السادس
٢. نفس المصدر

● ابتسم الأستاذ وقال: نعم، لا أريد ذلك. إنّما أريد أنّه لن تتحقّق حكومة الإنسان الكامل، كأيّ حكومة أخرى، ما لم تحصل على «قبول اجتماعيّ واسع»، ولم تصبح «الشيء الوحيد الذي يطلبه الجمهور». لذلك، فإنّ حركة الناس نحو الإنسان الكامل، ليست حركة جسديّة، بل هي حركة «ثقافيّة» و«اجتماعيّة» و«سياسيّة». بناء على هذا، يجب على الناس أن يتحرّكوا نحو الإنسان الكامل في ثلاث مراحل متناوبة حتّى تتهيّأ الظروف لحكومته بالكامل[١]:

المرحلة الأولى هي المرحلة الفكريّة، وهي أن يؤمنوا بتحقّق حكومة الإنسان الكامل إذا تهيّأت له الظروف، ويريدوا حكومة المهديّ بقلوبهم، ولا يرضوا بحكومة غيره. الطلب الواقعيّ والجدّيّ لحكومة المهديّ، المستلزم للبراءة من أيّ حكومة أخرى لها أيّ أساس وعمل، هو الخطوة الأولى للمجتمع نحو هذا الهدف العالي[٢].

المرحلة الثانية هي المرحلة اللّسانيّة، وهي أن يظهروا إيمانهم الراسخ بتحقّق حكومة الإنسان الكامل إذا تهيّأت له الظروف، ويعلنوا عن إرادتهم القلبيّة لحكومة المهديّ وبراءتهم القلبيّة من حكومة غيره، باستخدام كلّ قدراتهم وإمكانيّاتهم، ويقدّموا ذلك كمطالبة عامّة وشعار اجتماعيّ[٣]. هنالك يحصل الإنسان الكامل على القبول اللازم، ويفقد سائر الحكّام مقبوليّتهم، وهذه خطوة أخرى نحو ذلك الهدف السامي.

---

١. كما جاء في الحديث: «يَخْرُجُ أَهْلُ خُرَاسَانَ فِي طَلَبِ الْمَهْدِيِّ (١)، فَيَدْعُونَ لَهُ (٢)، وَيَنْصُرُونَهُ (٣)» (الفتن لابن حمّاد، ج١، ص٣٠٢).

٢. «طَلَبِ الْمَهْدِيِّ» في الحديث.

٣. «فَيَدْعُونَ لَهُ» في الحديث.

المرحلة الثالثة هي المرحلة اليدويّة، وهي أن يقوموا عمليًّا بإزالة الحكومات الأخرى من طريق المهديّ، وتخلية مكانه له من غيره، حتّى تتهيّأ الظروف المناسبة لتحقّق حكومته بشكل ملموس[١]. ذلك لأنّ الحكومات القائمة ليست قابلة للإجتماع مع حكومة المهديّ، وبما أنّها لا تتمتّع بالإتّساع والإستعداد والتوقّع اللازم للإندماج في حكومة المهديّ، فإنّها تتعارض معها، وبشكل طبيعيّ تستخدم إمكانيّاتها السياسيّة والإقتصاديّة والعسكريّة للحفاظ على سلطتها واستقلالها ومنع حاكميّة المهديّ، ومع وجودها لن تتهيّأ الظروف المناسبة لتحقّق حكومة المهديّ. بالإضافة إلى ذلك، فقد قلنا سابقًا أنّ العالم لا يحتاج إلى أكثر من حاكم واحد، ويجب على الحكّام المتفرّقين أن يتنحّوا لصالح المهديّ. لذلك، ستكون انتفاضة الناس الهادفة والواعية والشاملة ضدّ الحكومات المتفرّقة مقدّمة لانتفاضة الإنسان الكامل ومنتهية إلى حاكميّته؛ لأنّ هذا التمهيد سيكون العلّة التامّة لحاكميّته دون أدنى شكّ؛ لا سيّما بالنظر إلى أنّه، كأيّ إنسان مستحقّ آخر، سيطلب حقّه وينتهز كلّ فرصة لاستيفائه. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ الذي يضمن قيام الإنسان الكامل بالحكومة بعد تهيّئ هذه الظروف، هو كونه إنسانًا كاملًا؛ بمعنى أنّ الإنسان الكامل من حيث أنّه إنسان كامل، سيقبل الحاكميّة على الناس ليتحقّق العدل المطلق العالميّ.

■ الطالب الذي كان الآن يشعر بحماس ثوريّ في نفسه وقد ارتوى من زلال الحكمة، فكّر قليلًا ثمّ قال: لا يكون هناك سؤال إذا افترضنا أنّ المهديّ حيّ وغائب في الوقت الراهن، ولكن إذا افترضنا أنّه لم يولد بعد فيكون هناك سؤال، وهو أنّه هل يولد بمجرّد أن يشرع الناس في التمهيد لحكومته من خلال المراحل الثلاثة، أم لا يولد إلا بعد اكتمال التمهيد؟

---

١. «وَيَنْصُرُونَهُ» في الحديث.

وفي الحالة الأخيرة، كيف يمكن للمولود حديثًا أن يقبل الحاكميّة على الناس ويقيم العدل المطلق العالميّ؟!

● ابتسم الأستاذ وقال: لا تقلق. إنّ ولادة الإنسان الكامل، بخلاف حكومته، ليست متوقّفة على اكتمال التمهيد؛ لأنّ الله العليم القدير يعلم زمان اكتمال التمهيد قبل أن يشرع الناس فيه، وهو بالنظر إلى هذا العلم وبالنظر إلى لطفه قادر على أن يخلق الإنسان الكامل في وقت مناسب قبل ذلك، حتّى لا يلزم تأخيره عن وقت الحاجة، وتكون حاكميّته ممكنة على الفور بعد أن أصبح الناس مستعدّين. إنّ الله حكيم رحيم.

■ استغرق الطالب في التفكير، ثمّ قال بلهجة حاسمة: أيّها الأستاذ العظيم! هذه هي المرّة الأولى التي أشعر فيها بالعاطفة والعقلانيّة معًا. لطالما كان في نفسي فصل بين الإثنتين، لكنّني الآن أرى أنّهما قد التقتا في هذه النقطة العميقة والسّامية. في ضوء ما تبيّن لي، أظنّ أنّه يجب إبلاغ هذه النظرة الإلهيّة للعالم والمدرسة المنقذة للبشر إلى جميع الأمّة. يجب القيام بحركة عظيمة لإعلام الناس وإيقاظ العقول؛ لأنّه ما دامت هذه الرؤية العميقة والمصلحة لم تصبح الرؤية السائدة في العالم الإسلاميّ لن يرجع الناس إلى الإنسان الكامل، وما دام الناس لم يرجعوا إلى الإنسان الكامل لن تتحقّق حكومته في العالم، وما دامت حكومته لم تتحقّق في العالم لن يتكوّن العدل المطلق العالميّ الذي هو حاجة الإنسان الحقيقيّة وستستمرّ ذلّته ومسكنته. أليس كذلك؟

● هزّ الأستاذ رأسه تصديقًا وقال: هو كذلك.

■ الطالب الذي كان الآن يشعر بقوّة في روحه وجسده، استغرق في التفكير مرّة أخرى، ثمّ قال كمن اكتشف شيئًا: لكن ألا تعتقد أنّه من الضروريّ أن يكون هناك مرشد صالح يضمن عدم انحراف الناس في المراحل الثلاثة وعدم انقلابهم على أعقابهم من بداية عمليّة التمهيد إلى استقرار حكومة الإنسان الكامل؟ أريد أن أقول: أليست ثورة التمهيد الكبرى، كأيّ ثورة كبيرة أخرى حقّقت هدفها، تحتاج إلى قائد صالح يجسّد قيم الثورة بقوله وفعله، وينظّم العلاقة بين قواها ويمنع خلافاتهم وانحرافاتهم من خلال إدارته؟ بالنظر إلى أنّ العديد من الثورات بسبب فقدان قائد صالح، إمّا فشلت وقُمعت، وإمّا بعد النصر انحرفت وضلّت عن سبيلها.

● صدّق الأستاذ قول الطالب وقال: هذا حقّ. يبدو أنّه من أجل السير في هذا الطريق الوعر، لا بدّ من مرشد صالح يثبّت الناس ويسدّدهم في الحركة نحو الإنسان الكامل، ويوحّد المذاهب والجماعات المختلفة حول محوره، ويدفعها إلى توفير المتطلّبات الثقافيّة والإجتماعيّة والسياسيّة لحكومته، وحتّى -إن أمكن- يأخذ الحكومة من الآخرين بسلم أو تغلّب ويسلّمها إليه[1].

١. كما أخبر عن ذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: «إِنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ اخْتَارَ لَنَا اللَّهُ الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا، وَإِنَّ أَهْلَ بَيْتِي سَيَلْقَوْنَ بَعْدِي بَلَاءً وَتَشْرِيدًا وَتَطْرِيدًا، حَتَّى يَأْتِيَ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَعَهُمْ رَايَاتٌ سُودٌ، يَسْأَلُونَ الْحَقَّ فَلَا يُعْطَوْنَهُ -مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا- فَيُقَاتِلُونَ فَيُنْصَرُونَ، فَيُعْطَوْنَ مَا سَأَلُوا فَلَا يَقْبَلُونَهُ حَتَّى يَدْفَعُوا إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَيَمْلَؤُهَا قِسْطًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَأْتِهِمْ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ» (مصنّف ابن أبي شيبة، ج٧، ص٥٢٧؛ سنن ابن ماجه، ج٢، ص١٣٦٦؛ مسند البزار، ج٤، ص٣٥٤؛ المسند للشاشي، ج١، ص٣٤٧؛ المستدرك على الصحيحين للحاكم، ج٤، ص٥١١؛ السنن الواردة في الفتن للداني، ج٥، ص١٠٣١).

من الواضح أنّ هذه الإجراءات من المرشد الصالح لها حكم «مقدّمة الواجب»، وشرعيّتها تابعة لشرعيّة حكومة الإنسان الكامل ومتفرّعة منها؛ كما أنّه لا يمكن لأيّ حركة إصلاحيّة أو ثوريّة في العالم غير هذه الحركة الممهّدة أن تكون شرعيّة وقابلة للتبرير قبل حكومة الإنسان الكامل. لذلك، جاء في الحديث: «كُلُّ رَايَةٍ تُرْفَعُ قَبْلَ قِيَامِ الْمَهْدِيِّ فَصَاحِبُهَا طَاغُوتٌ»[١]، وفي نفس الوقت، تمّ الإخبار عن راية هدى تُرفع بخراسان الكبرى قبل قيام المهديّ واللحوق بها واجب على كلّ مؤمن[٢]، وجاء: «يَخْرُجُ نَاسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ، فَيُوَطِّئُونَ لِلْمَهْدِيِّ سُلْطَانَهُ»[٣].

■ الطالب: هل القائد الصالح الممهّد، من أجل الوصول إلى هدفه المقدّس، يقوم بتأسيس حكومة؟

---

١ . الكافي للكليني، ج٨، ص٢٩٥؛ الغيبة للنعماني، ص١١٥

٢ . كما روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّايَاتِ السُّودَ قَدْ خَرَجَتْ مِنْ قِبَلِ خُرَاسَانَ فَأْتُوهَا وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّ فِيهَا خَلِيفَةَ اللَّهِ الْمَهْدِيَّ»، وفي رواية أخرى: «فَإِذَا رَأَيْتُمْ أَمِيرَهُمْ فَأْتُوهُ وَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ»، وفي رواية أخرى: «خَلِيفَةُ الْمَهْدِيُّ»، وفي رواية أخرى: «يُقَالُ لَهُ: مَنْصُورٌ، يُوَطِّئُ -أَوْ يُمَكِّنُ- لِآلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا مَكَّنَتْ قُرَيْشٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَجَبَ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ نَصْرُهُ -أَوْ قَالَ:- إِجَابَتُهُ» (انظر لهذه الروايات المشهورة التي تبلغ بمجموعها حدّ التواتر: مسند أحمد، ج٣٧، ص٧٠؛ سنن ابن ماجه، ج٢، ص١٣٦٧؛ سنن أبي داود، ج٤، ص١٠٨؛ مسند البزار، ج١٠، ص١٠٠؛ مسند الروياني، ج١، ص٤١٧؛ البدء والتاريخ للمقدسي، ج٢، ص١٧٤؛ المستدرك على الصحيحين للحاكم، ج٤، ص٥٤٧؛ السنن الواردة في الفتن للداني، ج٥، ص١٠٣٢؛ دلائل النبوة للبيهقيّ، ج٦، ص٥١٥؛ ميزان الاعتدال للذهبيّ، ج٣، ص١٢٨؛ غاية المرام للبحرانيّ، ج٧، ص١٠٨).

٣ . سنن ابن ماجه، ج٢، ص١٣٦٨؛ المعرفة والتاريخ ليعقوب بن سفيان الفسوي، ج٢، ص٤٩٧؛ مسند البزار، ج٩، ص٢٤٣؛ المعجم الأوسط للطبراني، ج١، ص٩٤

● الأستاذ: لا يقوم بتأسيس حكومة عاديّة بمعنى نظام سياسيّ مألوف يدير شؤون المجتمع من خلال وضع القوانين وتنفيذها بدعم من القوّة القهريّة؛ لأنّه إذا كان تأسيس حكومة عاديّة يتطلّب تأسيس حكومة عاديّة أخرى، فإنّ تأسيس حكومة عاديّة أخرى أيضًا سيتطلّب تأسيس حكومة عاديّة أخرى، وذلك سينتهي إلى التسلسل، وهو غير ممكن. بغضّ النظر عن حقيقة أنّ الحكومة العاديّة، بمعنى نظام سياسيّ مستقلّ ومستمرّ، هي من صلاحيّة الإنسان الكامل فقط، وتأسيسها من قبل الآخرين هو نفس الشيء الذي يريد المرشد الصالح الممهّد إنهاءه، وبالتالي لا يتلوّث به نفسه؛ لا سيّما بالنظر إلى أنّه إذا كان من المتيسّر له أن يؤسّس حكومة عاديّة لنفسه، فمن المتيسّر له أيضًا أن يؤسّسها للإنسان الكامل من باب أولى، ولذلك يجب عليه تأسيسها للإنسان الكامل، لا لنفسه. هذا هو مفترق طريقي الحقّ والباطل، الذي يفصل بين المرشد الصالح الممهّد ومن يدّعي الصلاح والتمهيد كذبًا؛ لأنّ كلّ من بلغ ذلك، إذا قام بتأسيس حكومة عاديّة لنفسه فهو طاغوت، وإن ادّعى أنّه صالح ممهّد. من هنا يعلم أنّه لا يمكن لأيّ حكومة عاديّة في العالم غير حكومة الإنسان الكامل أن تكون شرعيّة، وإن اعتبرت نفسها إسلاميّة أو حتّى بصدد التمهيد لحكومة الإنسان الكامل.

■ الطالب: قولك ناضج ومدروس للغاية، لكنّي أريد أن أعلم أنّه كيف يتمّ بالضبط إيصال الحكومة إلى الإنسان الكامل من قبل القائد الصالح الممهّد؟

● الأستاذ: لا يتمّ ذلك بواسطة حكومة عاديّة؛ لأنّه كتحصيل العدل بواسطة الظلم، وهو تناقض وليس ممكنًا، بل يتمّ ذلك قبل كلّ شيء بواسطة إظهار الإنسان الكامل من خلال تأمين أمنه بإيصال عدد المناصرين له إلى النصاب، ثمّ بإحدى الطريقتين: طريقة مباشرة من خلال «ثورة عاديّة» بحضور الإنسان الكامل، في إطار «إيصاله إلى الحكومة»[١]، أو طريقة غير مباشرة من خلال «حكومة انتقاليّة» يتمّ تشكيلها في الحالة الطارئة بعد انهيار النظام السابق وظهور فراغ سياسيّ بهدف تأسيس النظام الجديد في فترة محدودة، بإذن الإنسان الكامل، في إطار «إيصال الحكومة إليه»، وبالتالي يمكن تسميتها بـ«نقل الحكومة»[٢].

■ الطالب: من هنا يعلم أنّ كلًّا من الناس والإنسان الكامل، عليه واجب لتحقّق هذا الهدف، وعليهما القيام بواجبهما في وقته. أليس كذلك؟

● الأستاذ: بالضبط. طبعًا لا شكّ في أنّ الإنسان الكامل بمقتضى كماله يقوم بواجبه ولا يمتنع عن الحضور أو الإذن في الوقت المناسب، ولذلك يجب على الناس أن يثقوا به، وبالإعتماد عليه يقوموا بواجبهم؛ لأنّ قيامهم بواجبهم هو الذي ينشئ له واجبًا.

---

١ . قد يدلّ على هذه الطريقة ما جاء في بعض الروايات المبشّرة بالرايات السود الخراسانيّة من «إِنَّ فِيهَا خَلِيفَةَ اللَّهِ الْمَهْدِيَّ»؛ لأنّ الظاهر من ذلك أنّ المهديّ سيكون حاضرًا بين الممهّدين لحكومته من أهل خراسان.

٢ . قد يدلّ على هذه الطريقة ما جاء في بعض الروايات المبشّرة بأصحاب الرايات السود الخراسانيّة من أنّهم «يُقَاتِلُونَ فَيُنْصَرُونَ، فَيُعْطَوْنَ مَا سَأَلُوا فَلَا يَقْبَلُونَهُ حَتَّى يَدْفَعُوا إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَيَمْلَؤُهَا قِسْطًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا»؛ لأنّ الظاهر من ذلك أنّهم يأخذون الحكومة من الطواغيت وينقلونها إلى المهديّ ولا يقبلونها لأنفسهم.

■ الطالب الذي كان الآن يجد نفسه في النقطة المركزيّة للمعرفة، فكّر مليًّا وراجع كلمات الأستاذ. إنّه لم يكن سمع من قبل بمثل هذا النظام الفكريّ الكامل والمتماسك. في هذا الوقت، وجد نفسه بين يدي مرشد صالح قد قام بالتصميم النظريّ والتطبيق العمليّ لحركة التمهيد لحكومة الإنسان الكامل، دون أن يدّعي لنفسه شيئًا ودون أن ينتظر تصديقًا أو تحبيذًا من أحد. إنّه أحسّ أنّ قطع الأحجيّة قد انتظمت في مواضعها بغير تكلّف وبشكل طبيعيّ تمامًا. لذلك، نظر إلى الأستاذ بعين مليئة بالرجاء وقال له بلهجة مليئة بالحماس: يا أستاذ! لقد أجبت على أسئلتي كلّها. فقل لي ماذا يجب فعله بعد مواجهة القائد الصالح الممهّد؟ إلى ما يقودنا هو؟

● الأستاذ: الممهّدون لحكومة الإنسان الكامل يتواصلون بخيط القائد المشترك كحبّات المسبحة، ويتوصّلون إلى «التناسق» و«التعاون» نحو الهدف المشترك[1]. بعد هذا التضامن، تتمثّل المهمّة الكبرى لطلبة الحقّ في توعية الأمم عن هذا الواقع المرير أنّ الحكومات المختلفة قد خدعتهم عبر التاريخ، ويمكنهم ويجب عليهم الآن أن يقولوا «لا» لجميع حكومات الشرق والغرب، ولا يقنعوا بأيّ رفاهية وراحة مغوية، ويبدؤوا الثورة المباركة المهدويّة. تتمثّل المهمّة الجسيمة للمتعطّشين للعدل في إطلاق تعبئة عامّة في العالم لتشكيل حكومة الإنسان الكامل، ومن أجل القيام بذلك، يجب عليهم أن يوجّهوا جميع الأنشطة والحركات الثقافيّة والسياسيّة والإقتصاديّة نحو هذا البرنامج السامي، وأن يصمدوا في مرحلة تطبيقه حتّى النفس الأخير.

---

١. كما قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة/ ٢).

هذا إصلاح اجتماعيّ ونهوض أصيل ومتجذّر يمكنه تحريك الجماهير المستضعفة في المجتمع ودفعها إلى التمرّد على الهيكل التعسّفيّ العالميّ وإيهان أسس حكومات الشرق والغرب وتهويرها. هذه هي الراية الوحيدة التي يمكنها أن تجمع وتوحّد جميع الأمم والأقوام المتعطّشين للعدل حولها ليشكّلوا صفًّا واحدًا لنصرة المهديّ. في مثل هذا السياق المناسب، ينفسح المجال أمام الإنسان الكامل لأن يظهر ويصل إلى السلطة بدعم شامل من الناس. بالطبع ليس هناك شكّ في أنّ هذه الفكرة الثوريّة سيكون لها أعداء كثيرون؛ الأعداء الذين يرون مصالحهم في خطر، ويحاولون أن يوقفوا حركة الصحوة هذه بالدّعاية السلبيّة وإلهاء العقول، ويصوّروها كحركة في مستوى الحركات المنحرفة من خلال إثارة الأجواء ونشر الأكاذيب، ولا يدَعوا صوتها يصل إلى آذان الأمم المتعطّشين للحرّيّة، بل قد يحاولون إيقاف هذه الحركة وقمعها في بداية ظهورها بقتل أصحابها المؤثّرين أو سجنهم أو طردهم[١]، لكن يجب على الناس أن يكونوا يقظين ويقوموا بواجبهم ويبادروا إلى دعم حركة التمهيد في هذه الفترة الحرجة.

● الأستاذ مكث هنيهة ثمّ أردف قائلًا: هذه الفكرة هي فكرة الأنبياء، وكانت قد نُسيت فذكّرت بها. الفرق بين فكرة الأنبياء والفِكَر الإصلاحيّة الأخرى أنّ فكرتهم تتمتّع بعمق وشمول فائقين وتنسجم مع نظام الكون كلّه. لم يزل الأنبياء بخلاف العباقرة والفلاسفة يكشفون عن حقائق عميقة وشاملة لم يسبق لها نظير في الأفكار والتجارب البشريّة ويفتحون للناس طريقًا بديعًا ومتميّزًا.

---

١ . وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (آل عمران/ ٢١).

لذلك يقال أنّ أحد المعايير المهمّة لمعرفة أصالة دعوة الأنبياء وحقّانيّتها هو هذا الإمتياز والبُعد عن متناول الأفكار والتجارب البشريّة، بحيث أنّ العباقرة والفلاسفة أيضًا يعترفون بسموّ هذه المعارف وعجزهم عن إدراكها، ويجعلون اتّباعها محور جهودهم.

■ وضع الطالب رأسه على الكرسيّ وفكّر لبضع دقائق. ثمّ رفع رأسه بتمهّل وقال: أيّها الأستاذ العظيم! أخضع بكلّ وجودي للحقيقة المنسيّة. آمل أن لا أنحطم تحت العبء الثقيل لهذه المسؤوليّة. أشكرك أيضًا جزيل شكر على أن كنت مرشدي الصالح في هذا السبيل، وأيقظتني من نوم عميق دون أن تسألني أجرًا، وفتحت لي بابًا إلى عالم آخر؛ عالم حيّ وواقعيّ، مشرق وهادف؛ عالم كلّ أجزائه في مواضعها. أشعر بالرشد، وبالحسرة أنّ الناس يعيشون في عالم خياليّ، وهم بعيدون أشدّ البعد عن الحقيقة... من الآن فصاعدًا، سيكون محور جهودي توعية قومي في ضوء إرشاداتك. لا شكّ في أنّ الأمر بالمعروف في هذا العصر المليء بالفتن ليس له مثال أعظم من ذلك، وأنا أبذل له مالي ونفسي بكلّ شرف؛ لعلّ العالم يمتلأ عدلًا بعد أن ملئ ظلمًا.

● قام الأستاذ عند سماع هذا وأمسك يد تلميذه، ثمّ قال وهو ينظر إلى الأفق: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾[١]، وكانت الشمس في وسط السماء، ولم تكن هناك سحابة، وكان كلّ شيء عليه ضوء...

---

١. الأعراف/ ٤٣

المصادر

١. أسد الغابة في معرفة الصحابة

لابن الأثير، عليّ بن محمّد بن عبد الكريم (ت٦٣٠هـ)؛ تحقيق علي محمّد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢. البدء والتاريخ

للمقدسيّ، المطهّر بن طاهر (تنحو٣٥٥هـ)؛ مكتبة الثقافة الدينيّة، بور سعيد.

٣. بشارة المصطفى

للطبريّ، محمّد بن أبي القاسم (ت٥٥٣هـ)؛ تحقيق جواد القيّومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلاميّ، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٤. تاريخ دمشق

لابن عساكر، عليّ بن الحسن بن هبة الله (ت٥٧١هـ)؛ تحقيق عمرو بن غرامة العمرويّ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ.

٥ . الجمهوريّة

لأفلاطون الفيلسوف اليوناني (ت٣٤٧ق.م).

٦ . خصائص الأئمة

للشريف الرضيّ، محمّد بن الحسين بن موسى (ت٤٠٦هـ)؛ تحقيق محمّد هادي الأمينيّ، مجمع البحوث الإسلاميّة، مشهد، ١٤٠٦هـ.

٧ . دلائل النبوّة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة

للبيهقيّ، أحمد بن الحسين بن عليّ (ت٤٥٨هـ)؛ دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٨ . سنن أبي داود

لأبي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق (ت٢٧٥هـ)؛ تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصريّة، بيروت.

٩ . سنن ابن ماجه

لابن ماجه، محمّد بن يزيد (ت٢٧٣هـ)؛ تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابيّ الحلبيّ.

١٠ . السنن الواردة في الفتن

للدانيّ، عثمان بن سعيد بن عثمان (ت٤٤٤هـ)؛ تحقيق رضاء الله بن محمّد إدريس المباركفوريّ، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

١١ . غاية المرام وحجّة الخصام

للبحرانيّ، هاشم بن سليمان بن إسماعيل (ت١١٠٩هـ)؛ تحقيق علي عاشور.

١٢ . الغيبة

للنعماني، محمّد بن إبراهيم بن جعفر (ت نحو٣٦٠هـ)؛ تحقيق فارس حسّون كريم، أنوار الهدى، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٣ . الفتن

لابن حمّاد، نعيم المروزيّ (ت٢٢٨هـ)؛ تحقيق سمير أمين الزهيريّ، مكتبة التوحيد، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

١٤ . الفردوس بمأثور الخطاب

للدّيلميّ، شيرويه بن شهردار بن شيرويه (ت٥٠٩هـ)؛ تحقيق السعيد بن بسيونيّ زغلول، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٥ . الكافي

للكلينيّ، محمّد بن يعقوب بن إسحاق (ت٣٢٩هـ)؛ تحقيق علي أكبر الغفاريّ، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٦٣ش.

١٦ . كفاية الأثر

للخزاز القميّ، عليّ بن محمّد بن علي (ت نحو٤٠٠هـ)؛ تحقيق عبد اللطيف الحسينيّ الكوه كمريّ، انتشارات بيدار، قم، ١٤٠١هـ.

١٧ . المستدرك على الصحيحين

للحاكم النيسابوريّ، محمّد بن عبد الله بن محمّد (ت٤٠٥هـ)؛ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

١٨ . المسترشد

للطبريّ الإمامي، محمّد بن جرير بن رستم (ت‌ق٤هـ)؛ تحقيق أحمد المحموديّ، مؤسسة الثقافة الإسلاميّة لكوشانبور، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

١٩ . مسند أحمد

لأحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)؛ تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرين، بإشراف عبد الله بن عبد المحسن التركيّ، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٢٠ . مسند البزار

للبزار، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق (ت٢٩٢هـ)؛ تحقيق محفوظ الرّحمن زين الله وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعيّ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنوّرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

٢١ . مسند الروياني

للروياني، محمّد بن هارون (ت٣٠٧هـ)؛ تحقيق أيمن علي أبو يماني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٢٢ . المسند للشاشي

للشاشيّ، الهيثم بن كليب بن سريج (ت٣٣٥هـ)؛تحقيق محفوظ الرّحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنوّرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٢٣ . مصنّف ابن أبي شيبة

لابن أبي شيبة، عبد الله بن محمّد بن إبراهيم (ت٢٣٥هـ)؛ تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٢٤ . المعجم الأوسط

للطبرانيّ، سليمان بن أحمد بن أيوب (ت٣٦٠هـ)؛ تحقيق طارق بن عوض الله بن محمّد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسينيّ، دار الحرمين، القاهرة.

٢٥ . المعرفة والتاريخ

ليعقوب بن سفيان الفسويّ (ت٢٧٧هـ)؛ تحقيق أكرم ضياء العمريّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ.

٢٦ . مناقب آل أبي طالب

لابن شهرآشوب، محمّد بن عليّ (ت٥٨٨هـ)؛ تصحيح لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المكتبة الحيدريّة، النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ.

٢٧ . مناقب عليّ

لابن المغازليّ، عليّ بن محمّد بن محمّد (ت٤٨٣هـ)؛ تحقيق أبي عبد الرّحمن تركيّ بن عبد الله الوادعيّ، دار الآثار، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٢٨ . ميزان الإعتدال

للذهبيّ، محمّد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ)؛ تحقيق علي محمّد البجاويّ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ.

٢٩. ولاية الفقية [بالفارسيّة]

للخمينيّ، روح الله (ت١٤٠٩هـ)؛ انتشارات أمير كبير، طهران، ١٣٦٠ش.